وثنية اللحم

*

اذكر

كلمة للشاعر « برنارد شو » كانت ابداً إماماً لتفكيري ، وهي « الهمجي اسعد حظاً منا لانه يعبد اصناماً من الحجر ، اما نحن فنعبد اصناماً من اللحم » . . . تلك كلمة ساخرة وحقيقية ، تصحح الفكر الاجتماعي وتنقيه وتبنيه بناء جديداً حراً . فان كل نهضة تنبني على عبادة اللحم ، لا بد ان تبقى مباءة للهوام من كل قبيل .

ايها الشعب : هناك قضية الوطن المقدسة وهناك زعماء يعملون لها كما تعمل انت ، وكل في حدوده ، فاياك وان تخلط بين قضية الوطن والزعيم ، لانك تخسرهما جميعاً . . اعظم الخطأ – ايها الشعب – ان لا تفرق بين الداعي والدعوة ، ومن هنا جاء اخفاقك السياسي ، فان الداعي مهما كان مصطفى فهو حيوان ذو غرائز وشهوات .

وقعت يوماً على كتاب للفيلسوف الاجتماعي التركي « قابيل آدم » اسماه « مصطفى كمال » وهذا الكتاب لم يدرس صاحبه فيه حياة اتاترك ، وانما وضع فيه دستور نهضة تركيا الفتاة وفلسفتها الجديدة ، واتخذ من اسم مصطفى كمال رمزاً للبعث . . . رأيت فيه بحثاً حول العقلية الاسيوية التي نعتها بالعقلية الدينية ودعا الى التحرر منها ، باعتبار ان التدين يعلم العبودية . ورغم ملاحظاته العميقة التي تصلح ان تتخذ قاعدة نموذجية للشرق عامة ، كان في هذه الملاحظة ساذجاً . لان الاديان الاكثر انتشاراً بيننا قامت كلها على عبادة الفكر السامي ليس كمثله شيء ، وقضت على عبادة الاوثان ووثنية الاشخاص . . ويهمني هنا ، ان الفت النظر الى مبدأين انبعاثيين ، قررتهما الاديان واقامت هيكل العقيدة عليهما :

١ – الايمان بالروح الكلي ، وبذلك اصابت عبادة الاشخاص في الصميم ، وقضت على الوثنية اللاهوتية والاخرى الاجتماعية .

٢ – تركيز الايمان في الدعوة لا الداعي ، واذا ثبت هذا الاعتقاد كاساس في القومية ، ينتج المجتمع مؤمنين لا يأبهون للداعي الا بمقدار اخلاصه للدعوة كشيء مقدس ، والا بمقدار استمساكه بها ودفاعه عنها .

ايها الشعب : ينبغي ان تضع نصب عينيك مبدأ اولياً واساسياً ، فاه به « ريشليو » يوماً « هاتوا لي خمسة اسطر من كلام اي زعيم مسؤول ، وانا استخرج منها ما يوجب شنقه . لانه لا يخلو ، اما ان يكون مخلصاً وساذجاً وهذا قد يضيع على الامة المناسبات والفرص ويقف وقفة غبية فلا ينتهزها . واما ان يكون عبقرياً فقط ، وهذا يعمل لشخصه بالانانية المحضة . واما العبقري المخلص فانه هبة الاجيال النادرة » . ان ريشليو يضع ايدينا بهذه العبارة الذهبية ، على اصول قانون الجزاء السياسي يوم تذهب الامة في حسابها العسير . فليس في منطق هذا القانون شيء اسمه « حسن النية » ، لاننا في الجزاء الوطني انما نحاسب الاشخاص على مقدار ما اتجروا في الوطن وخيره فقط اما حسن النية فشيء بينهم وبين انفسهم ، واذا كان له ان يشفع فانما يشفع لهم امام التاريخ هذه كلمة قاسية والجزاء الذي فرضه اشد قسوة ، اما نحن فانما نوقظ عند الشعب ضميره وندله على مكان الذات الفاعلة منه . تلك خطتنا ابداً : الصدق ابعد حدوده وان آلم ، والصراحة ابعد حدودها وان جرحت . . وان اولئك الذين يكتفون من القول ببضع تمتمات خافتة مبهمة ، تمر على شفاههم الراجفة فانهم جبناء ، وجبنهم مركب من الذلة والخوف ، وليس على عزائم مثلهم يقوم البناء الحر .

قال لي احد هؤلاء يوماً « اولى بنا ان نغسل ثيابنا داخل البيوت لا على اعين الناس » فتظاهرت بعدم الفهم ، لانني على غير هذا الرأي . فان من رأيي ان نغسل ثيابنا على اعين الجميع ، لانه علامة على مبلغ استعدادنا الوفير للتحرر دائماً ، وطلب النظيف من الاوضاع وطرح ما هو بمنزلة الادران . وهذه فضيلة تنشدها روح الاخلاق وطبيعة الطماح ، فليس في التجدد الاصلاحي عيب وانما العيب ما اشار اليه المتنبي : ولم ار في عيوب الناس نقصاً كنقص القادرين على التمام

وانما نطق بامثال هذه الترهات ، لسان الجبن الاجتماعي .

عبد الله العلايلي

تأملات

تنهمر الواح النهار ، على مخارم الغسق، انهار الوحشة في تلفت الضمائر ، ولحف الموت .

ينقبض الضوء حذراً ، وتوءدة ، في تربص فتكدس ثم يتمطى صدره ، لينهل في نواتيء الازل الرابض، فتتشبك ذوائبه بذوائب الظلمة الطافية على التفافات العباب ، وينحل خيط اللحمة ، وتسقط القباب البياض ، على القباب السواد ، وتقبض الروعة، بخشونة الاسارير عفرة الموج ، وعواتق الارض ، ولبد الرياح . . .

. . . كان شيء غامض ، يقمس في آبار الدنيا يخنق الضوضاء ، ويهمس النشيش همساً .

*

قال الزورق للشراع : هلم بنا الى الضفة . . . وهو يحسب التراب، في الشاطيء، ضفة .

فهمى الشراع مع رفارف الليل ، على تصدية المقاذيف ، وتلمع السرج البعيدة وولى ظله شطر الافق ، لا شطر الشطآن ؛ بحران ، من ليل واحد ههنا وغث واحد . . . ومقادير تصاول الالواح ، وملاح لو سألته عن ليلة القدر ، لحدثك ، حديثه ، عن النجم الذي نزل في اللمح ، ارض المجرة ، فاختطفته الحجب ، ولما نزل ، اخته الثريا في المشرق الساهر تنتظر عودته .

*

هيا بنا يا ملاح ، لنرسُ في الصخر الناتيء . ان الاشباح تزدحم على ابواب الطريق ، والحلكة تطمس راحات المجاذيف ، ومعالم البصر . ونحن ، من نحن ، لتهدأ لنا قدم في هذا الصعيد الضيق .

مرساة من حديد ، علقت بمرساة من ماء معلقة بمرساة من حجر .

ومرساة من حجر علقت بالارض ، وارض هي فواصل الضباب ، بين شدقي المغيب . ارض تسع ، اذا اتسمت ، بعض خطوة من خطوات رفاقنا الجبابرة .

كانت رحبة ، يوم كان الافق مسد الوهم وملمس الجوزاء ، وكان الخضم ، منازل الآلهة ومنابت الاساطير ، وكان النوتي ، قطعة من رؤى ونسباً من اله ، لا حفنة من تراب ، وصخرة من اكفان .

كانت رحبة يوم كانت المسمكات العالية، اعمدة المذابح، وقباب الهياكل .

اضع اخمصي على جبهة الليل ، واقمص ، فاذا بالاخمص الثاني تأرجح في الهواء ، يفتش عن جدار يسند اليه مهمازه .

*

ما اضيق الارض كلما عجنت ترابها بقدمي تتناثر في لهوة العدم نيازك ملتهبة . . . . اين تضع هذه القدم الحائرة مرساتها الثقيلة ؟ على اية قمة ، وفي اي مغيب .

ليل في بحر ، ومركب في اشرعة ، ومقاذيف ، وابد لا ينتهي دفقه ، ويجري ، يتقصى في عباب الافلاك ، طمأنينة المرافيء .

اين يلقي مراسيه ؟ اين يدفع ، امانيه ؟ اين يمسح اجنحته .
اين يحط قوادمه وخوافيه و . . . اين ينقّل عينه ، . . . ؟
ما الموجة ، بموجة . . . . ما الضفة بضفة ، ما القباب بقباب . . .

غارت القمة في ذلة السفح ، وتمحت النجوم على حرات الرمال . وسأل الريح الحريف عن الريعان، الذي اضاعه في عجل الطريق الى ملذة اللقاء .

ادفع أنى تشاء مقذافك
حطم على صخور الرياح الواحك

ايها الملاح : ان ابرع الملاحين ، من اذا غرق زورقه ، امتطى القدر ومن اذا تمزق شراعه نشر الرياح ، ومن اذا لوحت اسواط البحر ، عاتقه عانق ، زبد الموج وقبل ذرات الضياء ، ومن اذا تكسرت مرساته، قذف بالحبال لفاً لفاً على اعنقاق الكواكب ، كما يقذف الفرسان ، امراس القنب ، يقتنصون بها اعناق العابرين .

اقبض بيديك القاسيتين على خصر الليل ، واعصر كما تعصر الريح ضلوع الضباب .

ما اخف الليل مقذافاً . حسبناه يعرف مزالق الزمن، ومنافذ العواصف، فاذا به اخشاب محددة تتحطم نثارا نثارا ، تحت انامل الضوء ، الرخوة، الملساء .

*

في عيني قدر دونه ، تذاوب القدر
في قلبي ابراج دونها ابراج المجرة،
في صدري ينابيع دونها جراح الجنة .
في اهدابي شواطيء اقصى من شواطيء الآبار

معراج التأمل

في زوارقي اساطير ، وصور اساطير، لو شرعت لها ابواب المهرب لكان دوران الشمس بمضرفة في بعض جناح .

حطم هذه الصواري والمجاذيف ،
مزق خيوط الاشرعة الحالمة ،
وليبتلع الماء هذه الاخشاب اليابسة ،
وهلم بنا نبحر الى هنا . . .

في التأمل ابحر موسى من عليقة سيناء . في التأمل ابحر عيسى من صخرة المقدس . في التأمل ابحر القريشي من اغوار الرمال وفي التأمل خلق الازميل المرمر بشراً سوياً لقد ابتدع الانسان الانسان من حبات الصمت ، حديثاً طويلاً .

ما اقرب القديم وان يك قديماً
ما ابعد الجديد وان يك جديداً .

اما الفلك ، فلم تزل في المكمن ، اما المقاذيف فلم تزل في العكدة، اما الملاح فلم يزل واقفاً ، يتطلع الى الوراء .

وتسأل « سبا » اخاها : الى اين ؟ الليلة ،

فينحني بالشفتين خطف قبلة ، ويغيب في تدفق الاذان ، ومسايح الاشباح . اي اخي ، اخي الضائع ، متى تعود ؟

اسألي يا سبا ، اختنا الدالية ، فلعل اخاك الضائع ، في نكهات حباتها، معارج انطلاق .

اشربي يا سبا ، اشربي ، سنلتقي ههنا ، على سيف التراب .
اما القدر فلعله خطوط الرمال في تنقلات اصابع المجاثر . . .

الياس خليل زخريا

عهد البعث في الادب العربي

*

اديب اسحق

محرر عهد البعث من الجمود

*

بقلم كرم ملحم كرم

*

برقان تقاصر في انفجاره المدى . فما التهب حتى اضمحل . وثب الى رحبة السعي الجاد ابن احدى عشرة سنة وطوى بساطه في التاسعة والعشرين . وثبة عجلان . الا انها ابقت بعدها ضجيجاً متجاوب الصدى ، وآثاراً يشيع فيها الندى ، ولوناً من الادب لا ينصل ، وروحاً من الصدق والدأب لا يجف !

هو اديب اسحق ، احد اعلام القافلة الثانية من رجال البعث . ولولا الشيخ ابراهيم اليازجي لقلنا انه علمها . فشق بنفسه طريقاً حاول به ان يكون سيد نفسه وما خانه التوفيق . فثار على القديم يقوضه ويجرد منه القرائح والاقلام ، ولكن بسلاح ادباء العهد القديم من امثال بديع الزمان الهمذاني ، وابي تمام ، وصفي الدين الحلي ، وابن خلدون

واديب اسحق عاش كالهمذاني على غليان ذهن ، ونضج ادراك . فلم يبلغ غضارة الشباب حتى كان في مصاف الائمة من سادة البراعة الملهمة . فشخص اليه الشرق وهو يلمس فيه التفوق الباكر ، والذكاء المستطيل . هذا فتى يكتب بريشة من نار ، ويغوص على عذارى المعاني ينثرها بسخاء المتلاف وقد طفح قلمه بكرائم البلاغة يفيض منها بالسيل الدفاق ، فتشير الى باسق الموهبة واختمار السليقة

*

في دمشق تفتح ناظرا اديب اسحق على الوجود ، وفي دمشق اعتكف على العلم يتزود قواعده في معهد الاباء العازاريين . فتأججت فيه وهو على مقعد الدراسة ملكة التأنق في الالفاظ . فلم يكن ينطق الا سجعاً والعهد عهد سجع وبديع ، ولا يقول الا شعراً والشعر يومذاك قبلة المنشئين . وما بلغ العاشرة حتى برع في القريض دون وقوفه على سر العروض . فادرك المتوفرون على تعليمه انه فلتة ، وان الزمن سيجعل من هذه الفلتة بدعة . غير ان الحاجة سلخت الغلام من الانصباب على العرفان . فالعيلة ساورها العوز وما يكسب الاب لا يرد عنها الاملاق . فاشتغل اديب في دار المكوس بجعالة مائتي قرش في الشهر . ومن العجيب ان تحفل دار تشرف عليها دولة بابن احدى عشرة . الا ان ذكاء اديب جلا الدهش . فالغلام بدا على قدر المهمة . واحس باضطراره الى اتقان التركية فذللها واضحت له مطواعاً . وترقى وهو يجيد لغات ثلاثاً ، العربية والفرنسية والتركية . وعقدت العيون على هامته هالة من اعجاب . بيد ان الحنين الى الادب لم يطمسه المنصب . فظل اديب اسحق على استمساك بالنزعة الغالبة . فالموهوب القلم لم يعرض عن الطبع ، بل سايره وصقله بما انشأ ونظم ونشر في الصحف والمجلات

ولم ينقطع عن العلم ، ولكنه تعلم بنفسه . فمال على الكتب قديمها وحديثها يقتبس منها ما فاته وهو على مقعد الدراسة . وفي الثانية عشرة كان يتأبط ديواناً من الشعر يجيش بنفثاته . فالفرخ شاء ان يكون نسراً وهو لا يبرح من جناحيه على زغب ولم يطل فيهما الريش !

ويوم بلوغه الخامسة عشرة دعاه ابوه من دمشق ليساعده في بيروت في خدمة البريد . وفي بيروت امتدت بالناشىء الآفاق فانسل الى الادباء يطارحهم المنظوم ، ويساجلهم ، وينثر في مجالسهم ما أوتي من فخامة في القول ، وزخرفة في النسج ، فعرفوا فيه اصمعياً ،

عصامياً ، لا يجبن في مغامرة ، ولا يفحم في حجة ، فاجلوه واحلوه منهم المكان الاثير . وبحثت جريدة « التقدم » عن منشىء يتولاها فكان اديب اسحق الندب الصنيَ

اديب اسحق الصحافي والسياسي

ولكن هل نشأ اديب اسحق صحافياً وهو العالي البيـــان ، المفطور على احكام اللفظ المختار في دقيق المعنى ؟ . . . أيصح فيه القول ان الاديب لا ينشأ صحافيـــاً ولا يمكن ان يكون هذا الصحافي ؟

لا بأس ان نفضي بحقيقة توضح موقف ارباب الاقلام في مطلع عهد البعث العربي قبـــل الاستفاضة في الجواب . كل من شعر في مستهل البعث بالقدرة على انتضاء القلم التوى على الصحف السيارة يحبرها وينشرها في الناس ، وخصوصاً لدى وفرة المطابع . ومن لم يتفق له ان ينشر صحيفة انشأ مجلة . وما ندّ عن هذا السعي احمد فارس الشدياق صاحب « الجوائب » ، ولا خليل الخوري صاحب « حديقة الاخبار » ، ولا بطرس البستاني صاحب « نفير سوريا » و « الجنـــان » ، ولا الشيخ ابرهيم اليازجي صاحب « الطبيب » و « الضياء » و « البيان »

وهؤلاء رهط من ارباب الادب والعـــلم الخلص . فما نشأوا صحافيين مثلهم ادباء وعلماء . الا ان روح العصر فرضت عليهم اعتماد الصحافة في الظهور فنبه صيتهم ، وتعاظمت شهرتهم ، وباتوا في دنيا القلم اقطاباً . فالنور لم يحجبه مكيال . واذا استثنينـــا احمد فارس الشدياق كصحافي همام ، طويل البـــاع ، فلن نجد في الآخرين من يقف بجانب اديب اسحق في انشائه الصحافي ، وهمته في احياء الجريدة ، وسرعة خاطره ، وسورة نزعته . فكان يتعشق السياسة عشقه للقلم ، ويهيم منها بالمناظرة . فلا يكتب سطوراً لمل‌ء البياض ، بل كلمات ناطقة ، صارخة ، يشعر من يطالعها بلهيبها ويدرك ان ناشرها يحسن اعداد الغذاء لقرائـــه ، فلا يزجي اليهم السخف والهذار

والصحافي من يملك القلم الرشيق ، وقوة الملاحظة ، ومرارة النقد ، والحيلة على اقتناص الاخبار من مظانها . والادب لا يحول دون هذه السجايا ، بل يرهفها ويهب للقلم من المضاء ما يقصر عنه العاطل منها . واديب اسحق أوتي سرعة اداء الكلام مع جودة التنميق ، فبلغ في الصحافة منزلة لم يبلغها في ذلك العهد سوى احمد فارس الشدياق . والاثنان جمعا اساليب الكتابة على متعدد ضروبها .

ونظم الشعر . وكانا الدليـــل الحي على ان الاديب اذا توافرت مواهبه جـــال في ميادين القلم كافة دون تفريط ونكوص عن التمام .

و « التقدم » الصحيفة الاولى الفاتحة صدرهـــا لاديب اسحق اليافع ، صاحبها يوسف الشلفون . وايقن الناس واديب يكتب فيهـــا ان عهداً جديداً في الصحافة كشف عن جبينه . فان قلماً زاخراً بالنشاط يودعها روحه . وتجلى الاقتدار في الاسلوب وفي تحطيم القيود البالية . فلا ركاكة ولا استخذاء ، بل عزم واقدام في اشراق ديباجة .

وظهر من اديب اسحق ، الارمني الاصل ، انه هائم بالشرق هيام مدحت باشا ابي الاحرار به . فيتواثب الى الحرية ويذيـــع اناشيدها في الملأ العربي . وتعاليم الثورة الفرنسية لم تبرح نديّة ، ريّا ، مل‌ء الفم والاذن . وعلى هـــذه التعاليم شيد اديب اسحق هدفه السياسي داعياً الى نصرة « حقوق الانسان » .

وضاقت بيروت بطماحه فوثب منها الى مصر . ومصر ارحب مجالاً . فالمنشىء يستطيع فيهـــا بسط جناحيه . وكان رفيقه الى مصر سليم النقاش وقد اعتمدا التمثيل العربي المجهول فيها . فنشراه وشيدا معالمه ممثلا في القاهرة والاسكندرية من روايات مارون النقاش ، واضع حجر الزاوية في الملعب العربي ، ومن روايات اديب نفسه وهو مترجم رواية « اندروماك » للمؤلف الفرنسي المتفوق « جان راسين » ، ومترجم رواية « شارلمان » ، ومؤلف رواية « غرائب الاتفاق » .

غير ان التمثيل لم يكن مطمع اديب اسحق الولوع بالسياسة ، والرامي الى مشاطرة ارباب الرأي رأيهم في الاصلاح . فالتمثيل خيال من حقيقة ، واديب شاء ان يكون من ابطال الحقيقة لا من ابطال الخيال . والصحافة وحدها تنيله المبغى ، فتسلق منبرها بانشاء صحيفة « مصر » الاسبوعية وادرك بهـــا الشهرة ، ونعمت بالرواج وقد لمس فيها المصريون روح تحرر وانطلاق . وما لبثان اردفها بجريدة « التجارة » اليومية وشريكه فيها سليم النقاش ، فنبه شأنه وتلألأت فيه روح ثائرة . فالشرق يجب ان يحطم سلاسل الرق الغلاظ .

وفي مصر جلس اديب اسحق في حلقة جمـــال الدين الافغاني اللاجىء الى وادي النيل من اضطهاد الانكليز . وقد اقصوه عن الهند وكان يثير فيها الفتنة . واصغى الشاب الى الكهل فاذا الروحان جباران . ونفح الافغاني قلم اديب اسحق بالعمق الفلسفي

فازداد فحولة في نصرة حرية الشرقيين . ونال من شموخ نوبار باشا ، رئيس وزارة مصر في ذلك الحين ، المالي، الاجنبي . فقضى نوبار باشا على هذا القلم بالكسر وعلى حامله بالنفي وقد عطل الجريدتين « مصر» و « التجارة» واقصى اديباً — مع كونهما من اصل واحد — عن بلد فرعون. ففزع المنشيء الى باريس مستمراً في نفث الغضبة. وفي صدر عاصمة فرنسا انشأ جريدة «القاهرة» يكتبها بيده ويطبعها على الحجر ولا حروف عربية في باريس يومذاك — ليكوي نوبار باشا بجممها — وما لبث ان خلع عليها اسم « مصر » تيمناً بجريدته المعطلة ، على ان نوبار باشا حال دون وصولها الى المصريين.

وحياة اديب اسحق على غروبهـا العجلان كفاح في كفاح . فالاعصاب المتشنجة ابت ان تهادن . فما الخنوع والخبث والطغيان سوى دعائم شر يجب اكتساحها . ولم يرحم الشاب عافيته فالتوى عوده وقد افرط في كل مذيب مبيد، فانكفأ الى بيروت مصدوراً. وما استطاع فيها هجر القلم فعاد الى جريدة « التقدم » ينشئها على سنة كاملة ويغذيها بالسام وهو المعتل

وافلت الامر في مصر من الخديوي اسماعيل وتولى الحكم نجله توفيق باشا . واديب اسحق على مودة لسيد وادي النيل القائم بالاعباء، فدعي الى العمل في مناصب الدولة رئيساً للانشاء والترجمة في دار المعارف . واضيفت اليه امانة السر في الندوة ، وحاز رتبة « بك » . وهاج فيه الحنين الى الصحافة فاطلق جريدته « مصر » من عقالها ووكل امرهـا الى شقيقه عوني . ولكن نشوب ثورة عرابي باشا ، ولم يكن من مؤيديها ، اكرهه على براح مصر ، فقفل راجعاً الى بيروت موئله ومثواه . واحتل الانكليز مدينـة الاسكندرية ، واعادوا الى الخديوي سلطانه ، وقهروا عرابي باشا واسروه، فاغار اديب اسحق على المجد المفقود يلتمسه، الا ان خصومه سجنوه بضع ساعات وردوه الى بيروت خائباً . فلم يجـد غير « التقدم » من خدين يشكو اليه الليل الاليل . وناكدته العلة فهفا الى مصر يستشفي وقد استتب فيها الامر لاصدقائه، غير ان داءه تعاظم وفرض عليه الرجوع . فنفر الى حدث بيروت يخلع فيها عنه علتـه ، فخلعته بعد ثلاثين يوماً وقضى في الريّق الغض من طلالة الشباب . فالمولود في ٢١ كانون الثـاني ١٨٥٦ مات في ١٢ حزيران ١٨٨٥

وقامت عليه قيامة رجال الدين يوم جاد بروحـه وابوا ان يسيروا في جنازته وهو من البنانيين الاحرار ومن مناوئي الاباء اليسوعيين . ولم يكن من بعض الحانقين الا ان عبثوا ، وهو على النعش ، بشطر من مؤلفاته . واضطر اهله لدفنـه الى الاستنجاد بكاهن ارمني جاؤوا به من بيروت للصلاة على الجثمان المجهز للتراب

وقام مرقد اديب اسحاق الاخير في ظلال زيتونة يدل عليـه صفان من حجارة . ولما نادى الاستاذ جرجي باز — ما غيره ! — الى تشييد ضريح للفقيد يليق بقدره، وانهالت الاموال من الاصدقاء والمعجبين ، عاندت الدولة العثمانية . ودعا السيد عبدالرحمن الحوت، المشرف في ولاية بيروت على شؤون الطبع والنشر ، الاستاذ بازاً وهدده بالنفي الى جزيرة ارواد — وكانت جزيرة قبرس قد افلتت يومذاك من ايدي العثمانيين — ان هو مضى في الدعوة الى انشاء اللحد اما الايام فعبثت بالرفات فتناثر اباديد تباديد ، ولم يبق من اديب اسحق غير الشهرة الطائرة والصيت الحميد !

اديب اسحق الخطيب والاديب

ان اديب اسحق لفورة دائمة في قلمه ولسانه . فيعجز عن الجمود. يقبل الى تحبير مقاله في الغبشة وقد طال بالناس الهجوع . وكان يسهر معظم الليل ويستنفد البقيا للتحبير ، فكأنه يأبى الرقـاد وهو اليقظان الذهن والقلب

ولم يكن يضيق به مجال الكتابة . فيكتب حيث يكون. واتفق له مراراً ان يدبج مقاله وهو في المركبة . فمن عادتـه ان يصطاف في عبيه ، وفيما ينحدر من مصيف عبيه الى بيروت ، كتب مقالات جريدة «التقدم» والدواليب تتدحرج به الى المدينة . ونفد منه ذات يوم القرطاس فمزق الكمين المكويّين من قميصه الابيض وسودهما بما خطر له من ابحاث . وكان اذا شعر بانـه تأخر عن المنضدين وقف في اثنين منهم يملي على كل منهما موضوعاً لترتيب حروفه . ومنجده في البداهة عفو خاطره . فتنقاد اليه الكلمات على سماح ، بلا جهد ولا احراج

وذاكرته خير معوان له . فيحفظ ما يقرأ من شعر ونثر . وكان يباهي بانه يقوى على كتابة المقال دون ان يكون له فيه سوى واو العطف . فيرصف الجملة تلو الجملة منقولة عن هذا وذاك من المنشئين

واحب المنشئين اليه بديع الزمان الهمذاني وابن خلدون . والاثنان يظهران في آثاره . في رسائله ومقالاته الحمر يتنفس بديع الزمان ، وفي مباحثه الرصينة يتمايل ابن خلدون ، المعلم الهادي . فالاسلوبان يرشح بهما قلمه وينضها لسانه . وهو مما رفع من شأن

اديب اسحق كمنشئ، وخطيب

واديب اسحق خطيب عصره . ففي صوته رنـة من السحر الحلال . فلا بد لسامعه ان يترنح بالصوت الجهوري، المرنان ، حتى وان لم يكن يجود بالدرر . ففيه من قوة التأثير في السامعين مـا تثور به الحماسة ويلعلع التصفيق، كأن في تلك الحنجرة خمرة معتقة تبعث على النشوة ... وعلى العربدة ، ولكنها عربدة هتـاف وتكبير !

واديب اسحق شاعر. وما هو وزن الرجل في شعره، أيكون اسمى منه في نثره ؟ ... انه فيهما عديل نفسه . فان اديباً الشاعر لفي مستوى اديب الناثر . بـل قد يتوهج في نثره من الشرر ما يتقاعد عنه شعره . وما شعره ؟ ... طبـاقٌ وجناس ونوافر اضداد كنثره :

رشدي وقلبي مما قد منيت به	دون الاماني مفقود وموجود
والصدر والقهر في ضيق وفي سعة	والضر والصبر موجود ومفقود
والطرف والشوق في ماء وفي لهب	واليأس والانس مقبول ومردود

هذا هو شعر اديب اسحق في معظمه . فهو خاضـع لصناعة صفي الدين الحلي ، بل لاستاذ صفي الدين الحلي شاعر العصر العباسي الثاني ابي تمام. فالبديع يفور في هذا البيان المصنوع، على ان النحت لا يبـين مم وفره . ففي نفس اديب اسحق انطلاق يخفي ضربة الازميل .

ولم يبلغ اديب اسحق شأو الشيخ نصيف اليازجي في شعره، ولا مقام نجيب الحداد وتامر الملاط ، الا انه يناوئهم . وانها لمنزلة سامقة لابن تسع وعشرين !

اديب اسحق المؤلف

وتوكأ اديب اسحق على الترجمة في معظم مؤلفاته . فاخذ عن الفرنجة قصة « الباريسية الحسناء » ، وروايتي « اندروماك » و« شارلمان» التمثيليتين . وما وضع سوى رواية « غرائب الاتفاق» التمثيلية . غير ان مقالاته تدل على اقتداره . فهو يقفز في اسلوبه قفزاً خاطفاً . فالجملة قصيرة ، الا ان الوميض ينشق عنهـا باهراً ، فياضاً . والكلمات هادرة. فالمترادفات تتتابع فيها كخيوط الغمام في اليوم المطير . وقد تفيد معنىً واحداً ، الا انها مثبتة في مواقعها بشدة واحكام . فلو تزحزحت عن مستقرها لتصدع البنيان.

ومعجم اديب اسحق وسيع فسيح . فالشاب حوى الحفيل من كنوز اللغة ، ووقف من اسرار البلاغـة على العميق المغلق ، فحطم التقليد السائد وشق للبيان العربي منافذ ازورت مما يعروه من جمود . فالاقلام تحررت وهذا المحرر الفتي يضرب بقلمه صفحات الورق بلا هوادة ويستولدها الشرر . فجرت في كل باب من ابواب السياسة والعمران. ومن الراهن ان انصبابه على مطالعة ابن خلدون اسعفه في رحابة الجولان.

وراج اسلوب اديب اسحق الرواج كله واضحى قبلة المنشئين فاستظهروه وقلدوه، الا انهم لم يدركوا شأو ناسجه . فظل اديب في النظيرة ، بل بقي وتلاشى مقلدوه .

ومما يجيد اديب رسم الوجوه . فيكتب قلمه صورة من يترجمه كأنها حية تتكلم . وانه ليكتبها بنفحة من ابداع طريف . فرسم لنا جمال الدين الافغاني ، وغامبيتا ، واميل ليتره ، وجيراردان ، رسماً نضر الالوان ، حي الاداء ، ناطق الحروف

ومن جالس اديب اسحق الطويل القـامة ، الضامر العود ، الاميل العنق ، لمس باذنيه وعينيه الذكاء الدهاق . وما استطاع «فيكتور هوغو» الا ان يقول فيه وقد زاره اديب في باريس : هذا نابغة سوريا !

وفي السنة المنطلق فيها « فيكتور هوغو » الى آخرته مـات اديب اسحق . ولم يكن من شوقي ، امير شعر البعث ، الا ان اقتبس نشيد مصر الوطني من نشيد لاديب اسحق استوحى بـه « المارسيلياز » النشيد الوطني الفرنسي . فالكلمات هي هي ، والوزن هو هو . قال اديب :

الا هيا بني الاوطان هيا	فوقت فخاركم لكم تهيا
اقيموا الراية العليا سويا	وشنوا غارة الهيجا مليا
عليكم بالصوارم يا اهالي	ونظم صفوفكم مثل اللآلي
فاما مات كهل في القتال	فان الارض تنبته صبيا
منيتم بالمقيم من العنـاء	فكان وجودكم عين الفناء
فموتوا ان طمعتم في البقاء	فمن اودى شهيداً عاد حيا

وهذا هو نشيد شوقي بنصه، فان يكن نقله عن اديب اسحق، وان هو الا ذلك الناقل ، فرحى للامير !

*

لطف الله باديب . ومض كالشرارة وانطفأ كالشرارة . فالكسوف الصاعق تلا فيه البريق الخاطف . هذا افول البدور !

كرم ملحم كرم

التنويم المغناطيسي

من مسمر الى شاركو

بقلم

الدكتور نقولا فياض

كنت

نوهت في عرض حديثي عن التأثير غير المباشر بما اراد احد الاطبـاء الانكليز ان يجريه من التجارب في سبيل التثبت من صحته واليك خلاصتها .

ينقل الاحساس من الجسم الى الدمية فتصبح الدمية وحدها قادرة على العمل السحري المنشود بالتأثير عن بعـد، اي انك اذا قرصت الدمية او شددت شعرها او غير ذلك، فالمرأة المنومة تنويماً خفيفاً تشعر بالقرص والشد كما لو كان ذلك فيها مباشرة . ولكن خـذ من جرابك او (عيبة) ثوبك، دمية اخرى لا تحمل السائل المغناطيسي ولا حساسية المرأة وضعها سراً مكان الاولى دون ان تشعر المرأة بذلك، وافعل بها ما فعلت بتلك فان كل حركة تأتي بها على هذه الدمية الجديدة تنتقل الى المرأة ويبقى الشعور بالالم كما هو كأن لم يكن هناك تبديل ما . وهكذا قل بكأس الماء او الدواء مما يدلك على ان الاشخاص الذين اجريت عليهم مثل هذه التجارب يتصورون اي يتخذون لهم صورة غير صورتهم فيخفون الحقيقة، وهذا التصور (١) من صفات الهستريا، وان التجارب السابقة لم تكن من الدقة على ما يرام . اما الشعور عن بعد فعلى الرغم من كثرة انصاره لا يزال موضع الشك عند جمهرة من كبار الاطباء ، واليك البيان عما يقصد بهذه الكلمة المأخوذة عن اليونانية Télepathie والتي يمكن ان نسميها مع الجاحظ الاستشفاف او التنور كما قال امرؤ القيس :

تنورتها من اذرعات واهلها — بيثرب ادنى دارها نظر عال

قد يتعاهد صاحبان مثلاً في ساعة من ساعات الهزل ان من يموت فيها قبل الاخر يزور صاحبه الحي ، فيستيقظ احدهما ذات ليلة ويرى امام سريره وجه صديقه وقـد علاه الاصفرار فيقص الرؤيا على اصحابه فيضحكون منه ولكن لا يمضي قليل من الوقت حتى يأتيه نعي هذا الصديق وقد قضى نحبه في الليلة عينها التي زاره طيفه فيها . ومثل هذه احاديث المائدة المتحركة وظهور الاشباح لبعض الناس وغير ذلك وقد ألف فلامريون الفلكي المشهور كتاباً في هذا الموضوع سماه « المجهول »

(١) نعني بكلمة التصور مـا يقال له في الفرنسية Simulation

وقام استاذ طائر الصيت هو شارل ريشه بزعامة هذا المذهب الجديد يخدمه بقلمه في مجلة العلوم النفسية .

والطريقة التي يتخذها اصحاب هـذا المذهب للحصول على ملاحظات ذات شأن في نظر العلم لدعم نظريتهم واحدة ، فهم يطلبون من الناس كافـة ان يبعثوا اليهم بكل الحوادث التي تتعلق بالاستشفاف والتنور مع التفاصيل الدقيقة والحجج المؤيـدة ممهورة بتوقيع المرسل وعنوانه ، ثم يصار الى درس هذه الحوادث والتثبت من صحتها على قدر المستطاع بواسطة لجنة مؤلفة من :

الشاعر سولي بريدوم عضو الندوة الفرنسية رئيس

باله استاذ في كلية الطب باريس

لويس » » » نانسي

شارل ريشه الكولونيل روتشاس مدير البولتكنيك

ماريليه المحاضر في مدرسة الدروس العليا

تلك اسماء معروفة تدل على اهمية هذه المباحث وتؤمن عدم التلاعب في بيان نتائجها وقد قال ريشه في مقدمة المجلة «انها لا تملأ صفحاتها بالآراء الباطلة والمذاهب المعوجة بل تجمع بصبر جميع الحوادث التي لا ينكر الصعوبة الكبرى في التثبت منها على ما لها من الاهمية ولا ريب ان من اعظم الفوائد ان نعرف اذا كان علم الغيب ليس الا كلمة جوفاء او اذا كان ثمة قوى عاقلة لا يدركها عقلنا الآن، وكان في امكان الفكر ان ينتقل من مكان دون واسطة مادية وفي امكان دماغنا ان يدرك حقائق لا تراها العين ولا تسمعها الاذن ولا تنالها حاسة اللمس او الذوق او الشم »

وقال ريشه ايضاً من المحتمل بل المؤكد ان هناك في العـالم الادبي بقعة واسعة لم يطأها الانسان بعد وما نحسبه اليوم ملكاً للمجهول سيصير في الغد حقيقة ملموسة، فان الكهربائية لم تكن معروفة لثلاث مئة سنة خلت والمغناطيسية الحيوانية هي بنت اليوم وليس في كلام ريشه هذا خروج عن المنطق ولكن فيه جرأة كبرى اثارت الضجة من حوله واستفزت الكثيرين لمعارضته .

وذلك لان رجل العلم كلما تقدم في درس الاعصاب واماطة اللثام عن اسرارها كان ابعد عن الخيال واقرب الى الواقع، فيخلع عن الحوادث الغامضة حلتها السموية

وارجعها الى مكانها منه . وقد افرد الاستاذ « بيتر » في دروسه عن الهستريا والتنويم فصلاً للنيدلة شرح فيه حوادثها المدهشة وازاح عنها الحجاب الكثيف الذي اعمى الاجيال السابقة واضلها . واخرج ترشنوف الاستاذ في جامعة بطرسبورج (واليوم بتروغراد) كتاباً عن قراءة الافكار يرمي الى الغاية عينها وبديه ان تكون هذه المؤلفات على غير ما تريد تلك الفئة من الناس المولعة بالاسرار .

ولم يكن شاركو نفسه عطوفاً على الاستشفاف او التلباتيا فكان يبتسم ابتسامة معنوية كلما ذكروا امامه مثل هذه الحوادث وقد رفض رئاسة الجمعية النفسية منذ اليوم الذي اخذ اصحاب هذا المذهب يحاضرون فيها واليك وجهة نظره :

« قد يمكن ان يكون وراء هذا كله شيء ما ، ولكن لا يهمني في الوقت الحاضر بل ادع للاجيال الاتية ان تتكفل بجله لان جيلنا الحاضر لم ينضج لها تمام النضج فالتسرع مضر وقد تبينا ضرره في الزمن الاخير لانه اعاقنا طويلاً في معرفة الحقيقة العلمية فيما يختص بالمغناطيس والنيدلة . واذا كنت قد خطوت في عشرين عاماً خطى واسعة في هذه الطريق لم تعرفها عصور فلأني اتخذت لي خطة قائمة على التأني والصبر والتدقيق مبتدئاً بالاشياء البسيطة معرضاً عن التوغل في معالجة الاسرار . ان السرعة تزعج العقل الباحث على غير طائل وتؤخر ظهور الحقيقة»

فضلا عن ذلك فان الطريقة التي اختطها اصحاب هذا المذهب من جمع الملاحظات من هنا ومن هناك وسرد كل ما يقدمه اناس تنقصهم الخبرة وعندهم قابلية التصديق لكل شيء . لا تعد الطريقة المثلى التي تلزمنا الحكمة باتباعها على الرغم مما يتخذ فيها من اسباب الحيطة .

ومن الذين كتبوا عن النيدلة واسهبوا فيها الدكتور منه احد اعضاء الندوة الطبية وطبيب السالبترييار وقد ذكر النيدلة الطبيعية والمجتلبة وروى حادثة مريض حكم عليه ثم برأ بعد فحصه وتوزيعه امام قضاته .

وتختلف حالة النيدلان حسبما يكون مغمض العينين او لا فاذا كانت العينان مفتوحتين فان النيدلة تكون اشبه بالسحر الذي يصيب الثور عندما يلوح له ثواره[1] باللون الاحمر بعد ان يكون الطعن والركض قد نهكاه فما دام الثور قوياً فمن الصعب الاستيلاء على بصره ولا ينى الثوار يلاحقه الى حد الاعياء فيتعلق نظره حينئذ بالخرقة الحمراء ويتبعها كيفما تحركت امامه وقد حصر انتباهه فيها واضاع الرشد فلم يبق من حواس دفاعه ما ينبهه الى الخطر . هو ينظر الى الاحمر وكل ما هو غير الاحمر لا يصل اثره الى دماغه وعلى هذا الوجه يسهل الفتك به .

والرجل المسحور على هذا الوجه قد يبلغ اشد حالات السحر كما جرى لمأمور محطة السكة الحديدية وهي حادثة مشهورة فان هذا الرجل كان يصاب بالنيدلة وعيناه مفتوحتان فيسحره احياناً منظر خاتم لماع في اصبع سيدة جاءت تستفهم منه عن موعد سفر القطار او صفيحة نحاسية على باب الطبيب او الفانوس المعلق في مؤخرة القطار الى ان سحر يوماً بلمعان الشمس وتكسر اشعتها على الزجاج فمشى القطار عليه ودهسه .

والى جانب هذه الفئة التي يأخذ بلبها نور المصباح ويفصلها عن عالم الحس ويجعلها كالاعمى لا تبصر شيئاً حتى ولا الموت الواقف لها بالمرصاد فئة اخرى اخف داء كمجانين الحب مثلاً الذين ينسون كل شيء ويعمون عن كل خطر لان بريقا فتانا من اللحاظ جذبهم ذات مساء .

ولا يسعني ان اختم هذا التحليل للمباحث الفلسفية الانتقادية التي اثارها شاركو دون ان اقول كلمة عن العجائب ونظر الاطباء اليها . ومعاذ الله ان اريد اغضاب احد في معتقده ولكن التعمق في درس الامراض العصبية قد اتاح لشاركو ان يفسر عدداً كبيراً من الحوادث الغريبة التي كانت من قبل تعد من الاعاجيب . وقد كتب قبل مماته كتاباً عنوانه «الايمان الشافي» اظهر فيه كيف ان جميع الاديان وجميع الحضارات كانت مسرحاً لعجائب متشابهة وكيف ان هيكل اسكولاب في اثينا القديمة يشبه هياكل اليوم وذكر كيف رأى في سفره في احد الهياكل قوالب مصنوعة تشبه تمام الشبه تشنج المهسترات فالوقت والمكان يتبدلان والفكر البشري هو هو يطلب تدخل قوى مجهولة لأنه في حاجة الى الامل .

وقد اوضح في كتابه « المشيطنون ازاء الفن » الذي اشترك في تأليفه بول ريشه ان الصور والنقوش والرسوم التي صنعت لتخليد ذكرى بعض العجائب لا ترينا الا حالة النوبة التشنجية عند المهسترين . وكل ما يروونه قديماً وحديثا من حوادث الشلل والتشنج وفقدان البصر التي تشفى فجأة ان هو الا من اعراض الهستريا حتى ان بعض حوادث الاصابات في النخاع الشوكي قد تكون مسببة من الهستريا وربما ضل في تشخيصها امهر الاطباء .

وعلى الجملة فان شاركو لا يعتقد بالعجائب ولكنه لا يحرم زيارة الاماكن المقدسة والحج اليها بل يباركه لما تحييه من الامل في صدر الانسان اما العجائب فلا تغير شيئاً في مجرى الكواكب ولا تقدم او تؤخر في الشرائع الازلية ولكنها تعمل عملها في ظلمات الباثولوجية الداخلية .

نقولا فياض

«1» الثوار هو القيم على الثور او المثير له ومثله قول لبيد :
لو يقوم الفيل او فياله   زل عن مثل مقامي وزحل

اتجاهات التأليف الغربي في شأن الشرق العربي*

بقلم الدكتور بشر فارس

★



ان التنقيب عن الآثار والنقوش وكذلك الاطلاع على المخطوطات والوثائق يدلان اليوم على ان الصلة بين الغرب والشرق الاوسط كانت مستمرة ومتشعبة . واذا نحن وقفنا الحديث على الشرق العربي الاسلامي وجدناه موضع عناية المؤلفين الغربيين . واما اسباب العناية في العهود القديمة فحاجة الروم مثلاً الى تعرف اعدائهم او جيرانهم من بني امية وبني العباس وبني حمدان وغيرهم من الخلفاء والامراء . فكانت السياسة الطريق الاول ، ثم تلتها التجارة وهي قديمة من عهد بعيد وتقتضي معرفة المسالك والاحكام ، وتلتها ايضاً السفارة بما تستلزم من تقارير سرية . ثم جاءت الرحلة في سبيل العلم وما ينشأ عنها من اقتباسات وترجمات وارشادات ، واشهر من نقل الى قومه اخبار العرب وآثار ثقافتهم جماعة من الرهبان العلماء من القرن الحادي عشر الى الرابع عشر ، اذكر منهم : الانكليزيين Scot و Roger Bacon والالماني Albert Le Grand . والحروب ايضاً دفعت الى الكتابة ، فهذا السيد Joinville يقص علينا في ترجمته النفيسة لسيرة الملك لويس التاسع الحوادث التي وقعت في الحملة التي قام بها هذا الملك الصليبي في مصر والشام .

غير ان تآليف تلك العهود البعيدة لم تكن منتظمة في السياق ولا مستوفاة في الاستطلاع ، بل كانت مقصورة على لون واحد او باب واحد . وكانت فوق ذلك غير وافية او غير صادقة من جهة التنبيه على احوال المسلمين والاخبار بسعة سلطانهم . وقد اخذ هذا النقص في التضاؤل منذ القرن السادس عشر . وليس الفضل في ذلك براجع الى مباحث العلماء . فالحق ان مغامرات الرواد هي اولى التآليف المفيدة التي عرفها الغرب والتي اعتمدها لاجل التوسع في التجارة او الاستعمار . وكانت هذه التآليف الى جنب طرافتها وفائدتها على قيمة ادبية حركت قراء الغرب الى الولع باخبارنا .

* حديث اذيع من راديو الشرق الادنى .

ولا بد من عرض فئة من اولئك الرواد . فاولهم ، في رأيي هو الايطالي Ludovico Di Varthema وهو اول غربي وصل مكة والمدينة في مفتتح القرن السادس عشر ، من طريق الحاج . وقد حكى هذا الايطالي لمعاصريه ما وقع له وما شاهده ، والذي قصه ووصفه حقيق بالتقدير والصدق . واذكر بعده الانكليزي Pitts الذي استطاع ان يرحل من مصر حتى الحرمين في مختتم القرن السابع عشر . ثم الف رسالته في دين المسلمين وعاداتهم . على ان هذين الرائدين واضرابهما لم يكونا على تجهز علمي ، فلم يدونوا غير مشاهد ونوادر . فلما اخذت اوربة منذ بداية القرن الثامن عشر في الاقبال السديد المنتظم على انواع المعارف ، فتقدمت العلوم الطبيعية ، كان من توابع ذلك ان نشط العلماء الى البحث والتنقيب ، فقصد نفر منهم ، على رأسهم Niebhur الى البلدان العربية ، فتجولوا طويلاً ، ودونوا في دفاترهم جملة من العادات والحوادث ، ورسموا كثيراً من الخطط ، وذكروا الواناً من النبات والحيوان . وقد نشر Niebhur هذا الكثير في الجزء الثاني من القرن الثامن عشر في الالمانية والفرنسية والانكليزية .

من ذلك العهد اطردت رحلات الغربيين ، ودوافعها ثلاثة : المغامرة والتجارة والتنقيب : اما المغامرة فقد تضاءلت تجاربها وجفت ثمارها الادبية الا فيما يتعلق بالحوادث ، مثل جهاد الوهابيين ومنازعات الامراء والشرفاء . واما التجارة فقد افادت في تبيين الخطط وتعيين المعاملات . واما التنقيب فبفضله خرجت مؤلفات لها قدر عظيم ، من ذلك ما كتبه السويسري Burchhardt في احوال الجزيرة ، والانجليزي Burton في مناسك الحج ، والانجليزي Philby في الربع الخالي ، والاميركي Musil في احوال بدو « الروالة » . ولكن في المنقبين من لم يلتزم التدقيق والتحري ومن هؤلاء Palgraves وهو انجليزي من صلب يهودي ، وفيهم من مال الى التمويه والتنميق مثل Lamartine الشاعر الفرنسي

واما الاتجاه الثاني في التأليف فهو الانشاء التخيلي ، وقد عرفه الغربيون منذ نقلت اليهم النوادر العربية ، في مقدمتها : الف ليلة وليلة . فهنالك قصص انجليزية وفرنسية وايطالية واسبانية ، موضوعاتها مستمدة من البيئة الاسلامية ، ومشاهدها مسرفة في تبيان ابهة الشرق العربي . وقد اغنت الطريقة الابتداعية — وهي الرومانسية Romantisme هذا اللون المبهرج من الادب . وحسبي ان اذكر كتاب الانجليزي Beckford وعنوانه Vathek « الواثق » ثم « الشرقيات » للفرنسي Victor Hugo والملحوظ في هذه التآليف التي امتدت الى عهدنا هذا انها — الا اقلها — تصور الشرق العربي او الاسلامي بريشة يغلب عليها التوهم او التصنع او الميوعة . والدليل على هذا اقاصيص لـ Pierre Loti وللاخوين Tharaud و لـ Louis Bertrand

واذا نحن تركنا الخيال انشق تجاهنا باب الاستطلاع العمراني ، وهو يشمل الثقافة والسياسة والدين واللغة وما الى ذلك . وتآليف الافرنج ههنا تتردد بين الجودة والرداءة او بين الصدق والزيف . فما يمتاز بالنفاسة والطرافة والفائدة الكتاب المعروف بـ « وصف مصر » وقد وضعه نخبة من العلماء الفرنسيين الذين جاؤا بصحبة نابليون الى القطر المصري ، وهذا الوصف لا يزال مرجعاً ثقة . ومما يتصل بهذه المرتبة الرفيعة كتاب الانجليزي Lane في عادات المصريين في القرن الثامن عشر ، وفحص الاب Jaussen عن عادات اهل نابلس في عهدنا هذا ، ثم رسائل الالماني Brockelmann والانجليزي Gibb في الادب العربي الحديث ، ودراسات الايطالي Nallino في باب اللهجات العربية ، وتنقيب الفنلندي Saarisalo والفرنسي Lecerf عن الاغاني الشعبية في جبل الدروز وجبل لبنان ، كل هذا في قرننا ، وغير ذلك كثير ، فمن المستشرقين من بحث عن مراسيم الزواج في مراكش ، او عن الحياة النسوية في المزاب بالغرب ، او عن الصناعات في فلسطين ، او عن الاحوال في سيناء الى آخر ما هنالك .

ومما يلحق بهذا الاستطلاع ما تقوم به الهيئات والمجامع والجامعات والحكومات من تعرف وتفهم ، من ذلك المجلات الموقوفة على الشرق العربي الحديث نحو مجلة الدراسات الاسلامية وهي تصدر في باريس على يد الاستاذ Massignon ، ومن ذلك ايضاً البيانات الشاملة نحو البيان الذي وضعه جماعة من الانجليز في شأن فلسطين الغربية من سنة ١٨٨١ الى سنة ١٨٨٨ :

The Survey of West. Palestine

ولكن مؤلفات الغربيين في باب الاستطلاع ليست كلها موضع تقدير واعتماد ، ويحسن بنا ان نميز منها ما ينبغي لنا ان نطرحه او ننقضه بسبب جهل المؤلف او ميله مع الهوى .

هذا ، واني لم اتناول هنا التأليف التاريخي او الاثري ، فقد قصدت الكلام على ما يؤلفه الغربيون في شأن الشرق العربي المعاصر لهم ، على تعاقب الزمان .

القاهرة — بشر فارس

مدى التاريخ الحديث

بقلم الدكتور عمر فروخ

استاذ الفلسفة بكلية المقاصد ببيروت

✻

منذ بدأت اعين البشر بملاحظة المظاهر الطبيعية الكبرى لم تختلف في تسميتها ولا في ملاحظتها ذاتها ولكنها كانت تختلف دائماً في ماهيتها وتعليلها . على ان هذا الاختلاف في فهم ماهية تلك المظاهر وفي الاصابة في تعليلها كان يخضع دائماً لتطور العقل البشري واتساع دائرة الاجتماع . ان عين الانسان لم تخطىء الكسوف والخسوف ولا الصواعق والعواصف ولا الطوفان والزلازل ولكنها كانت تخطىء ماهية هذه كلها وتخطىء من اجل ذلك اسبابها فتخطىء مدى نفوذها وحقيقة آثارها وشمول نظامها .

واذا كانت المظاهر الطبيعية البادية للعيان خاضعة لمثل هذا الاختلاف في التعليل والتباين في فهم الماهية ، فاجدر بالمظاهر الاجتماعية والثقافية التي لا تدرك الا بالفكر النير والعقل الثاقب ان تكون اكثر اختلافاً في خيال الناس وابعد تبايناً في عالم ادراكهم وفي نطاق حياتهم .

حينما كان البشر يعتقدون مثلاً ان الكسوف او الخسوف نذير بخطر مقبل او بشر مستطير كان التاريخ سرداً لاعمال الابطال والملوك ، وكان هذا التاريخ نفسه مشحوناً بالخوارق والمبالغات ، وكان فوق ذلك متقسماً بين البلاد المختلفة ، وبين مدن البلاد نفسها ، يستقل كل بلد بتاريخه ويستبد كل ملك او بطل بحوادث امته . وفي ذلك الزمن السحيق في القدم كان تاريخ كل دولة من الدول

يجري ضمن حدودها على وتيرة واحدة فيدور في عاصمة تلك الدولة ويدور حول ملكها ، فاذا اتفق ان خرج هذا الملك في غزوة كان سير التاريخ يقف في عاصمة ملكه ليتبعه في غزواته وفتوحه ويستمر في الدوران حوله ، فاذا شذ الامر عن ذلك ونبعت بعض الحوادث التاريخية في العاصمة فانها لا تكون حينئذ الا لان طامعا اراد ان يغتصب الملك او ثائراً احب ان يزيل التاج .

ثم تقدمت السنون ونشأت الامبراطوريات بمعناها الصحيح فانقسم التاريخ بينها وتشابكت حوادثه فيها واصبحت لا تكاد تفهم تاريخ بلد الا اذا فهمت تاريخ البلد الآخر كثيراً او قليلا، ففي القرن الثاني قبل الميلاد كان بعض تاريخ قرطجنة جزءاً من تاريخ رومية وبعض تاريخ رومية جزءاً من تاريخ قرطجنة وفي القرن الثاني للهجرة كان تاريخ دمشق تاريخاً للمشرق والمغرب ، وكان تاريخ المشرق والمغرب في الحقيقة تاريخ مدينة دمشق . اما اليوم فان مدى التاريخ قد اتسع الى اقصى حدود الاتساع ، فهل يستطيع احد اليوم ان يدون تاريخ بلاده من غير ان يلم بتاريخ اوربة ، بل هل نستطيع نحن الذين نعيش في مدينة لا يتجاوز سكانها ربع مليون ان نفهم سير تاريخنا نحن انفسنا من غير ان نفهم سير التاريخ في اوربة واميركا معاً ؟

واذا كنا نعتقد ان التاريخ ليس سرداً لاسماء الملوك ونتائج المعارك فحسب ، بل هو التطور الاجتماعي صعوداً او هبوطاً والمكانة الثقافية رقيا او انحطاطاً ، ادركنا الى اي حد بلغ في عصرنا هذا تشابك حوادث التاريخ وتصادم الحركات الفكرية وتفاعل العوامل الاجتماعية : ان الدول السياسية قد اصبحت اليوم في نطاق التاريخ العالمي تعابير جغرافية . خذ مثلا الجيل الذي انطوى بالامس : تلك الحقبة من الدهر بين عام ١٩١٤ و ١٩٤٤ وحاول ان تؤرخ فيه بريطانية او فرنسة او الولايات المتحدة او اليابان ، فهل تستطيع ان تدون تاريخ دولة منها من غير ان تتعرض لتاريخ الدول الباقية كلها بشيء من التفصيل ، سواء في ذلك أحاولت ان تدون تاريخها السياسي ام الاجتماعي ام الاقتصادي ام الثقافي ؟

ولا ريب في ان تاريخ كل بلد انما هو تاريخ الرسالة التي يؤديها في سبيل الانسانية عاجلا او آجلا وعلى نسبة هذه الرسالة تكون اهميته التاريخية وكلما كانت هذه الرسالة اعم واشمل كانت الاهمية التاريخية على نسبة ذلك في الاثر والخلود ولكن من سوء حظ الامم انها لا تستمر في اداء رسالتها او رسالاتها المختلفة الا مدة محدودة من الزمن .

اما الان فاحب ان اطبق هذا المبدأ على تاريخ بلادنا او على جزء من تاريخ بلادنا وارى معك كيف ان مدى التاريخ عندنا نحن كان يتقلص او يتمدد ويتضاءل او يشمل بعد ان تصارعت الامبراطوريات الاولى على اديم بلادنا ثم ضعفت واستيقظت المدن الفينيقية الى الاستقلال الذاتي ، كانت كل مدينة دولة مستقلة بنفسها ، وكانت هذه المدن منثورة من رأس الكرمل عند حيفا الى ما وراء السواحل المصاقبة لجزيرة ارواد او ما وراءها . وبعد اربعمائة عام عادت الامبراطوريات القديمة الى الصراع من جديد وعادت بلادنا ميدان قتال من جديد ايضاً . وجاء الفتح العربي فغاب تاريخ غربي آسية كله في تاريخ الفتوح العربية واصبح تاريخ الشرق باجمعه تاريخاً للجيوش والقواد ، واصبحنا في الحقيقة نؤرخ تصادم الجيوش وتصارع المبادىء على هذه الارض ووراء هذه الارض . ثم كانت دمشق وقامت بعدها بغداد فاذا التاريخ يلتصق بهما حتى وقف هرون الرشيد يوماً يخاطب غمامة لم تمطر في بغداد وقال لها : ايتها الغمامة ، اذهبي وامطري حيث تشائين فان خراجك يأتي الي . ولقد قال لويس الرابع عشر ملك فرنسة اشد من ذلك ، لقد قال : « الدولة انا » والى اليوم لا يزال تاريخ فرنسة نفسها تاريخ مدينة باريس .

ونتخطى الاحقاب لنتجنب آلام التاريخ في بلادنا حتى نصل الى الامير فخر الدين الثاني الذي استقر في الشوف ولكن حدود امارته كانت تمتد الى تدمر شرقاً والى صفد وطبرية جنوباً ولكن التاريخ كان يدور في الشوف او من اجل الشوف . ولكن منذ ذلك الحين انتقل التاريخ عملياً من الملوك والقواد الى الارض ومن يعيش فيها واصبح نطاق التاريخ يتسع وتشابكت عوامله وعناصره واسبابه ونتائجه ولم يبق بامكان دولة ما ان تخوض حربا مثلا وتبقى الدول الاخرى واقفة تتفرج او غافلة عما يجري وراء حدودها . ولم يبق في امكان حركة فكرية ان تنبت في ارض من غير ان تتطاير بذورها الى كل مكان يصل اليه البريد او يجلس الناس فيه امام اجهزة الراديو .

ان التاريخ المعقول يسير في العالم وبالعالم الى جهة واحدة ويجري الى مستقر معلوم ، هو اتساع الافاق وتشابك الحوادث وتأثر بعض الحركات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ببعض ، فيجب من اجل ذلك ان تتسع آفاق التاريخ في بلادنا بما يتفق مع رقينا الاجتماعي والاقتصادي والفكري ، والا نكون كدود القز تنسج حولها الحرير والديباج ثم تخرج هي منه عارية من غير ان تنتفع بما نسجته . ان للتاريخ قوانين كما ان للطبيعة قوانين ، وقديماً قال العلماء الطبيعيون : اذا اردت ان تتغلب على الطبيعة فيجب عليك ان تطيع قوانينها .

عمر فروخ

اضبارة ... يغمرها العار !

بقلم محمد روحي فيصل

✯

فهذا اديب آخر من ادباء السوء ...

ما كان يكتب للناس حتى يبين ، وانما كان يكتب لنفسه قبل كل شيء . وكان يلغز ويبهم فلا يصطنع غير الكناية والمجاز والرمز . وكانت دنياه الروحية مزيجاً رائعاً غريباً من الاحلام والاحقاد والاشواق والغرائز والاشجان والبرم بالحياة والظمأ الى مجهول لم يكن يتبينه بعقله ، فقد كان عقله قاصراً ، وانما كان يتحسسه في نفسه هذه التي بلغت ، في سن مبكرة جداً ، من الشبوب والانطلاق حداً لم يتناه اليه حتى العباقرة من الشعراء في شتى العصور الادبية التي عرفتها الامم القديمة والامم الحديثة .
والطريف مع ذلك انه ما كان صاحب اسلوب ، ولا كان يملك موهبة التعبير المستقيم ، ولا كان يتقن لغته حق الاتقان ... وهل يستطيع فتى في السادسة عشرة من عمره أن يملك ناصية المادة التي يكتب بها فيفهم عنه الناس ؟

من اجل هذه الاسباب مجتمعة ، وقع صاحبنا « رامبو » في الغموض ! فأنت تقرأ كتابه « فصل في جهنم » مثلا فلا تدري على الضبط ماذا يريد ان يقول ، ولا أية فكرة او عاطفة يعني . كل ما تدريه أنك حيال صور ورؤى لا مشبه لها في الجدة واللمعة والحسن ، قد ازدحمت وتلاصقت ، فاضطربت وماجت ، ثم انبثقت كلها على الفور خليطاً لا أقول مشوشاً ولكن « طبيعياً » كأنها الحمم تنطلق من فوهة البركان حارة دافقة .. !

فأنت مع هذه الصور والرؤى في « جو » من الاشباح والاطياف تخطر لباصرتك هفافة شفافة ، متحركة ساكنة ، فاتنة عابسة ، ثم لا تلبث ان تنسحب الى بعيد وتتوارى في عتمة اللاواعية وقد أعجبتك وامتعتك وأيقظت فيك الخوافي الرواكد من الاحلام والاوهام والغرائز .

فالصور والرؤى مادة الرياضة النفسية عند الفتى الشاعر . وربما مثلت له المخيلة الواهمة « مسجداً وهو يرى مصنعاً ، واسمعته الطبول قرعاً تضربه الملائكة ، وبدت له ردهة بجدران في قاع بحيرة ! » وهكذا الى ما شئت من أحاسيس على انها حقائق ، وألاعيب على انها جد ، وخلائق على انها أحياء ، ومساتير كالفيلة مهولة مرعبة مخيفة ... فسيفساء لعمري عجيبة منسقة غاية التنسيق ، ومنفوضة بابدع اطار .

كان احب شيء الى رامبو اللفظة النادرة ، الغريبة ، الجديدة ، يضمها الى أخت لها من جنسها . فاذا اجتمعت له الاخوات على هذا النحو نظمها ونسقها في موسيقى أخاذة قوية ذات وقع ورنين .
وكان صوته الشعري أطرب صوت انطلق في القرن التاسع عشر ، فاصغى اليه الشعراء وتأثروا به ونسجوا على منواله . وهام به بعد موته جيل صاعد كان يتلمس الطريق الى الادب الجديد فأكبره وقدره ورأى فيه خالق فن وعبقري شعر . وسار على هداه في الانتاج الفني موكب هؤلاء الادباء جميعاً فكانت طلائعهم نذر انقلاب عميق في مفهوم الادب وغاية الادب واسلوب الادب ... وما أظنك الا قرأت لهم فاحببت اكثرهم وحاولت ان تقلد مدرستهم مع شيء كثير من التكييف وفق الطبيعة الغربية والبيان العربي . انهم الرمزيون ...

وهم كثيرون . ولكن أهم ما يميز رامبو من هؤلاء الرمزيين ، الى جانب اصالة الاستاذية ، جانبان لا يستطيع اي باحث في رجال المدرسة الرمزية الا



الاستاذ محمد روحي فيصل

ان يعرض لهما ، وان ترفق في احدهما لاتصاله بالاخلاق . . .

فاما الجانب الاول فهو ان رامبو قد بدأ بالانتاج صغيراً وانتهى منه صغيراً . بدأ به كما قلت لك في السادسة عشرة من عمره ، وانتهى منه في التاسعة عشرة . . . يا للمعجزة ! سنوات ثلاث فقط ، يقوى فيها الفتى الخالق العبقري على الفن والشعر ثم يتوارى الى الابد من عالم الخلق ودنيا العبقرية !

فقد ولد بشارلفيل من اعمال الاردين في العشرين من تشرين الاول عام ١٨٥٤ . والاردين جو يعبس مناخه في اكثر فصول السنة ، وارض تتصل خضرتها ومياهها ببواعث الشاعرية . ولكن أباه كان ضابطاً في الجيش الافريقي ، عاشر قبائل البربر ثم ساهم في حرب القرم . وكانت امه امرأة شديدة الاثرة ، صلبة الرأي ، نفعية لاترى غير المادة وجمع الثروة . وسترى ان رامبو قد ورث من ابويه جانباً من هذه الخصال ، ولكنها كمنت فيه الى الحين الملائم . فقد درج الفتى في هذا المحيط فبدا له أول الامر غريباً لا يلائم مزاجه وروحه ، فما لبث ان اجتواه فسافر الى باريس عام ١٨٧٠ وجعل يختلف الى الحي اللاتيني بوجه خاص ، وشارك هنالك الادباء فيما كانوا يأخذون به انفسهم من ألوان الحوار في شؤون الفن . وتمتم الفتى بالشعر بينه وبين نفسه ، ثم جهر به ورواه لبعض اصحابه ، ثم جعل يفرضه على المجالس ويذيعه في المحافل . وكانت بداءاته الشعرية تقليداً للشاعر فكتور هيجو وجماعة البرناس ، ولكنه ما لبث ان استقل في طريقة الاداء ، وطبيعة الموضوعات مما لا يرضى عنه الرومانتيكيون ولا البرناسيون ولا أنصار الوضوح على العموم .

ها هو اذن يقول الشعر ، يقوله مبهماً قوياً جديداً رائعاً ، ويقوله بكثرة استرعت اليه الانظار فذاع اسمه واقبل عليه الناس ورغب فيه الناشرون

ولكن الهة الشعر التي هبطت الى رامبو فجأة فقذفت على لسانه شيئاً لم ينطق به من قبل على هذا النحو انسان ، عادت فانفكت عنه فجأة ايضاً ، اعني عام ١٨٧٣ ، فاذا الشاعر ينقطع عن قول الشعر ، وينقطع عنه الى الابد !

لا تحاول ان تعثر بعد الان على رامبو ، فلن تراه بفرنسا ولا باوربا ، فلقد تذكر سيرة ابيه فدخل في الجيش الهولندي جندياً بسيطاً متواضعاً ولكنه سئم صرامة هذه الحياة وجدها وقسوتها فانطلق يضرب في الارض ويجوب الآفاق فمن الهند الى جاوة الى الحبشة الى مصر الى قبرص الى جزيرة العرب ، لا يقر له في بلد من هذه البلدان قرار . وهو اذ يهيم متشرداً انما يفتش على الثروة فيبيع ويشتري ، ويربح ويخسر ، وربما عمل على تهريب البنادق والبضائع ، وفرّ لهذا كالجناة من وجه العدالة ، وتعرض لجزاء القانون . فالمهم انه يعمل كانسان عادي وان يبدي النشاط في جمع المال . وهو خلال هذه المرحلة كلها لم يكتب ولم ينتج . لقد نسي كل ماضيه الادبي المجيد او لقد حاول نسيانه : فالرواة يذكرون انه سئل مرة عن شعره الذي نظمه فقال « مقرف لا طعم له ! » واراد بعضهم يوماً ان يوقظ فيه جانب الاديب ، فاهتاج وغضب . .

وينتهي مطاف السائح التاجر الى مستشفى في مرسيليا يعالج فيه مرضاً هد من قواه وأنحل جسمه ولكن الموت اعجله في العاشر من تشرين اول عام ١٨٩١ فقضى شاباً لم يتجاوز السابعة والثلاثين من عمره . . .

الشاعران فرلين ورامبو

فهنا كما ترى حياة شاذة غريبة الاطوار لا مشبه لها فيما نعرف من حيوات الادباء والشعراء والفنانين . واذا كان لي ما اقوله في مثل هذه الظاهرة النادرة ، ظاهرة الشاعرية التي انبثقت في سن مبكرة على ان تتدفق وتكتمل وتنضب ايضاً خلال سنوات ثلاث ، فهو ان العبقرية الفنية عبقرية فردية في اغلب الاحوال ، تأتي عواملها واسبابها من داخل المرء نفسه اكثر مما تأتي من خارجه ودور المجتمع بالنسبة اليها هو دور الكاشف لا دور الخالق !

ونصل الآن الى الجانب الاخر من حياة رامبو ، وهو جانب يزري بصاحبه ويشين الادب من غير ريب . ذلك ان رامبو في اختلافه اول الامر الى الحي اللاتيني كما حدثتك قد جلس يوماً في بعض مرابعه لا يكلم انساناً ولا يكلمه انسان . فقد كان مجهولاً

مغموراً عند رواد المكان من رجال الادب والفن الذين يغدون اليه ويروحون منه ثم لا يبصرون هذا الفتى الغريب الوافد الذي انطوى على نفسه غير بعيد منهم ، وقد اسند رأسه الى يده اليسرى وارسل بصراً حالماً حاداً من عينين صغيرتين لا تخلوان من بريق . واذا صدقت صورته التي تمثله لي جالساً وحيداً في ذلك المكان من المربع حينذاك ، فاني لأرى في انطباقة فمه وتكوين أنفه وغور نظرته وامتلاء وجهه ما لو رآه مولع بالشباب او موكل بالفتيان لجن جنونه واخذته رعشة خاصة !..

وتسوق الاقدار الى هذا المكان في تلك الساعة شاعر سكير بوهيمي معروف هو « بول فرلين » ، كان قد اصدر مجموعة « اشعار عابسة » عام ١٨٦٦ ، وديوان « الاعياد المرحة » عام ١٨٦٩ ، فتناهى اسمه الى آذان كثيرة ، وحظي بقدر اجتماعي مرموق . ونظر فرلين فاذا رامبو على تلك الجلسة المغرية المشوقة .. هناك لوى طريقه من حيث ينبغي ان يمر به ويتعرف اليه ان استطاع . ويقول بعض الرواة ان رامبو كان قد بعث الى فرلين من قبل كتاباً مؤثراً . وكيف كان الامر ، فقد اتصل الفتى رامبو بالشاب فرلين وكان الشاب يكبر الفتى عشر سنوات ، ولكن الفتى عرف كيف يقذف في اذن الشاب كلمات الاعجاب ورنين الثناء ، وعرف على الاخص كيف يكون الاستيلاء على القوى العقلية والنفسية والفسيولوجية ايضاً !..

من هنا تبدأ حكاية الصلة المريبة التي تربط الصاحبين « الاكرمين » والتي شاعت بعض الشيوع بين الناس ، ولكنها ظلت مستورة بستار الادب ! فالواقع ان فرلين قد اخذ بيد رامبو الى الاوساط الادبية وعرفه بالبرناسيين ، فجعل يقول الشعر كما ذكرت لك ثم كتب خلال هذه الفترة « فصل في جهنم » و« اضواء » و« اشعار » و« رسائل » وغيرها مما لم ينشر اكثره الا بعد حين . واعجب فرلين بالشاعر رامبو حتى لقد عقد لشاعريته فصلاً خاصاً في كتابه « الشعراء الملعونون » وحتى لقد قدم « اضواء » عند نشره عام ١٨٨٦ بمقدمة رائعة .

وتمضي الصلة المريبة بين الشخصين الى جانب الاعجاب المتبادل بين الشاعرين . فاذا كان تموز ١٨٧٢ سافرا الى لندن وبقيا فيها زماناً « ينعمان » بما يشاءان ، ثم شخصا الى بروكسل شخوصاً ليس يدري احد مأتاه ولا مصدره ، فما حل تموز ١٨٧٣ حتى حل الخصام بينهما محل « الوئام » . فقد اراد رامبو ان يقطع حبل العلاقة الآثمة التي تصله بفرلين ولكن فرلين لا يقوى على القطيعة فيحزن ويغضب في آن واحد ثم يمسك بمسدسه فيطلق منه على رامبو طلقتين لم يرد لهما قتيلا وانما جرحتاه جراحاً ليست بذات خطر !

وتصل القضية الى المحكمة الاجنبية ببروكسل . فاما فرلين فيذهب الى السجن ليقضي فيه سنتين ، واما رامبو فيظل في بروكسل ريثما يتم طبع كتابه « فصل في جهنم » وفيه اشارات غامضة الى مغامرات فرلين معه ثم يترك الادب والادباء ليضرب في الارض على الشكل الذي حدثتك

اما تفاصيل المحاكمة ، وشهادات الشهود ، واعترافات الجاني ، وموقف الفريسة ، فذلك محفوظ بالاضبارة النائمة في المكتبة الملكية ببروكسل — يغمرها الى الابد عار الاديب الكبير ...

دمشق　　　　محمد روحي فيصل



عناصر الشخصية الحية

(١)

اذا المرء لم يحتل – وقد جد جده – أضاع · وقاسى عمره ، وهو مدبر
ولكن : اخو الحزم الذي ليس نازلاً به الخطب ، الا وهو للقصد مبصر
فذاك ، قريع الدهر ·· ما عاش حُوَّل اذا سد منه منخر ، جاش منخر ···

*

اقول « للحيان » – وقد صفرت لهم وطابي ، ويومي ضيق الحجر معور –
هما خطتا : إما اسار ومنة ، واما دم · والقتل بالحر اجدر ·
وأخرى ، اصادي النفس عنها · وانها لمورد حزم – ان فعلت – ومصدر

*

فرشت لها صدري ، فزل عن الصفا · به جؤجؤ عبل ، ومتن مخصر
فخاط سهل الارض ، لم يكدح الصفا به كدحة ، والموت خزيان ينظر ···
فأبت الى « فهم » ، وما كدت آيباً وكم مثلها ، فارقتها وهي تصفر ···

تأبط شرا

الرجل* الجديل

(٢)

ولقد سريت على الظلام ، بمغشم جلد ، من الفتيان ، غير مثقل ···
فاذا نبذت له الحصاة ، رأيته ينزو لوقعتها ، طمور الاخيل
واذا يهب من المنام ، رأيته كرتوب كعب الساق ، ليس بزُمَّل
ما ان يمس الارض الا منكب منه ، وحرف الساق طي المحمل
واذا رميت به الفجاج ، رأيته يهوي مخارمها ؛ هُويّ الاجدل
واذا نظرت الى اسرة وجهه ، برقت ، كبرق العارض المتهلل
صعب الكريهة ، لا يرام جنابه · ماضي العزيمة ، كالحسام المقصل
يحمي الصحاب ، اذا تكون عظيمة · واذا همُ نزلوا ، فمأوى العُيَّل ·

ابو كبير الهذلي

---

* في الاصل بمعنى المفتول العضل ونقلناه ليدل على كلمة « اتليت » الاجنبية

(١)

« تأبط شراً » مغامر جاهلي مارد ، اوسع شعره دائماً لحديث مغامراته ، التي جاءت عاتية حيناً ومتكنفه بالهول احياناً .

وهو في هذه القطعة ، يحدثنا حديث مغامرة من تلك المغامرات ، وان تكن مرعبة خالبة ، فلم تذهب بلبه حيرة ، وتقعد به عجزاً . بل ادرك النجاة ، وادركها في شكل من الاستهتار المعتد المترفع .

فقد نذر به « بنو لحيان » يوماً ، وترامى الى سمعهم ان تأبط شرا ، يشتار العسل من بعض القنن الجبلية . فادركوه ولم يزل حيث القنة ، التي اخذوا عليه طريق النجاء منها .

وكانت القنة تنفرج عن طريق واحدة ممهودة ، ومن سائر جوانبها الاخرى تطيف بها صخور ملساء ومزالق حادة لا يستساغ عليها السير .

على انه — وقد وعى وجوده ، وادرك مكان الشخصية الفاعلة منه — لم يهن ، وتنقطع به الاسباب ، مسترخياً . بل غالب ، وحفظ رباطة جأشه في الغلاب الذي انتهى بنجاته

واشعرته المغامرة ، ذلك الشعور الذي اجتمع فيه كل منطق الحياة ، دون ما تزوير او اختلاب او اختداع . . .

ان المرء — وقد اخذته المكاره والخطوب في جد — اذا لم يحتل اي يتصفح ويتدبر وجوه امره ، بل استسلم واهناً ، يقعد به ضعف من تلاش الهمة ، وآخر من عجز الفكر ، اضاع سبيل النجاح ، ولازمته قسوة الاخفاق المتصل . فهو من عمره ابداً ، في ادبار وتخلف وتقهقر . . . انه ذو شخصية مريضة مضمحلة . .

ولكن صاحب الحزم ، المتمتع بالشخصية المستقوية الحية ، ليس ينزل به الخطب ، الا وهو يبصر طريق الخلاص منه ، والسبيل القصد الامم ، فلا تذهب به عاصفة الخطب وتقذف به شلواً ، بل يضبط العاصفة ليصرفها كما يشتهي اشلاء .

وصاحب هذه الشخصية المستقوية المستعلية ، هو ابن الحياة الصالح ، ومقارع الزمن وما يلابسه من الخطوب .

فانه — مهما عاش وكيفما اتفقت له الحياة — يكون الحول كما ينبغي ، والقلب مع ما يستوى واسباب الظفر . . فليس يسد منه متنفس ، الا خلق واوجد له متنفساً . . .

*

بفضل من هذا الشعور بالوجود الاتم ، والاحساس المتدفق بكبرياء الذات واجه خصومه ، وقد هتفوا به «استأسر او نقتلك» .

واجههم — وقد خلت اوعيته حتى النضوب ، من كل وسائل التحوط حتى الغذاء — ويومه ضاق بمكانه ، على انه ثقب ايضاً ليس يتسع له ، ومتكشف كثير العورات فلا يصلح متحصناً .

ولكنه — رغم ذلك — تأبى عليه اعتدادية نفسه ، الاسر كما تستخف بالقتل ، فيهتف بهم : هما خطتا اسر واذلال ، او دم وقتال . واذا كان خيار ، فالقتل اجدر بالحر .

بيد انه وهو الحول الذي يعرف كيف يستأتي للخطوب! يسدد منه حزم من تدبير ، وعزم من اعتداد ، التمعت له طريق النجاة ، فذهب في مصاداتها وادارة الرأي في تدبيرها ، وانتهى الى انها وحدها مورد الحزم ومصدر الخلاص . . .

*

استوت خطته التي عقد عزمه عليها ، في ان يهريق العسل الذي جناه على جسده وعلى الصخور الملساء ، ويتدحرج آمنا العثار .

ففرش للصخور صدره ، الضخم الاعالي والذاهب في دقة الى ظهره البالغ التخصر ، حتى خالط السهل من جهة تبعد جداً عن مكان خصومه ، الذي فيه يترصدونه ، ولم تترك الصخور فيه اي اثر من الندوب .

وكان الموت الماثل في عيون خصومه ، يرى وهو خزيان منكسر في كمد وحفيظة . . .

(٢)

و «تأبط شراً» هذا ، كان في محل الاعجاب البالغ لدى الجاهليين . فهذا ابو كبير الهذلي يصفه في قطعة رسمت كل ما نعرفه اليوم ، من خطوط الرجل الرياضي ، واعطت غاية التربية الرياضية .

فهو يقول : لقد سريت ، والظلام بدا من كثافته كأنه يسار عليه . وصحبتي فتى يتقحم المخاوف متغشماً دون مبالاة ، ومتجلداً في خفة دون ثقل .

وهو ابداً على استعداد وتهيؤ ، فاذا انتبذت او نبذت له الحصاة ، تراه يثب على صوت وقوعها وثوب الطائر . . واذا هب من النوم ، تراه ينتصب بكل جسده دون انحناء او تكسر ، ودون زملان او ضعف . . وهو اذا اضطجع ، لا يمس الارض الا بكتف متحفزة ، وطرف ساقه في حمائل سيفه . واذا رميت به الصدوع الفاغرة من الجبال ، تراه يهوي في جنباتها الزلقة الحادة ، هوي الصقر المستبق .

اما وجهه فتهلل الاسارير دائماً لا تغير منه المخاوف ، على انه ماضي العزيمة كالحسام القاطع . . وهو يستوي من طبيعته على خليقتين : حماية الصحب في العظائم ، واعالتهم في املاق الحاجة . . .

« ابو عباد »

دمشق

بقلم رموند اوار
الاستاذ في كلية المقاصد ببيروت

ان القلب ليرتعش ارتعاشة عصفور صغير يهم بان يطير لاول مرة، حين يشاء القلم ان يصف دمشق! ولكن الكلمات تحمر احمرار الفتيات الصغيرات، ولا تجرؤ على ان تترك الفكر، خشية ان تجرح دمشق بتفاهتها.

وللتحدث عن جمالها، يؤثر المرء ان يستعمل لفظاً غير لفظ «الجمال»، ويجب ان يخترع تعابير جديدة تهمس في اذنها كانها اعترافات رقيقة... دمشق جوهرة منظومة في نطاق اخضر... انها الخصب المبارك المخلوق من الاجداب والقحط.. وهي، التي تدعى «لؤلؤة الشرق»، الا تدعى «دمشق الكون»؟

في الساعة التي تلتقي فيها الشمس بالافق، وفي الساعة التي يخال فيها ان الارض والسماء تتنفسان، وحين يجلس زائر الشرق عند قدم «قاسيون» في مقهى عربي «بالمهاجرين» يسأل الافق اللازوردي عن الرياض والحدائق، اذ ذاك تكون دمشق، الصامتة الفخور، ملتفة بغلالات السحر والغموض...

وان يحمل الغربي الرومانطيكي عنها سوى صور من عظمة خضراء في ضروب من الالوان لا حد لها، ومن مآذن شامخة خلف التلال الصلعاء، ومن احساس غريب وحزين للهدوء والاستسلام والثورة. وان دمشق، اذ تبدو، الفينة بعد الفينة، بعيدة قريبة، لينة قاسية، لتلعب بمن يود ان يعرفها ويحبها، وحين تستغرق في الليل تظهر التماعات انوارها فجأة مرحة ساخرة!

★

كانت دمشق منذ اقدم العصور، ولا تزال اليوم، ملتقى عدد كبير من الاجناس والاديان.. ففي بيوتها الحجرية ومساكنها المبنية من اللبن، وفي مقصوراتها الحديثة وأزقتها التي ترجع الى القرون الوسطى يعيش مسيحيو المذاهب المختلفة، والمسلمون السنيون والشيعة، والاسرائيليون والاسماعيلية، واليزيديون والدروز، والاوروبيون والعرب، والاتراك والافريقيون وفي الوقت الذي كانت فيه المدن التي تعرف اليوم بعظمتها وكنوزها، مستنقعات واحراجاً، كانت دمشق قد بلغت ذروة مجدها فهي في القرن الثاني عاصمة دولة تجابه التوسع الاشوري. وكانت عند انتصارات الاسكندر عام ٣٣٣، تلتمع وتشرق عبر آسيا كلها. وبعد ان كانت مستعمرة يونانية ثم رومانية تحتفظ بعقائدها الفينيقية والآرامية، اصبحت الوثنيين «دمشق المقدسة العظيمة» التي كان مزار «جوبيتر» فيها يجذب الوف الحجاج. ثم تحولت في زمن «تيودوس» الى مدينة مغرقة في مسيحيتها، وعلى اثر فتوحات الفرس في زمن دارا (٦١٤) تلك الفتوحات التي كانت تهدم كل شيء، لم تعد دمشق الى ازدهارها الا بالفتوحات العربية عام ٦٣٥. وقد اسس فيها معاوية خلافة الامويين، ولكن ما ابث العباسيون ان انتصروا، فحلت بغداد محل دمشق. بيد ان نور الدين، اعاد اليها مجدها وعظمتها... ولم يمض وقت طويل حتى ظهر مغول تيمورلنك الذين اجتاحوا مدينة الاسلام المقدسة وخربوها. ولم تستعد دمشق جاهها الا عند الفتح العثماني.

هذه هي مراحل دمشق الكبرى، المدينة التي تقوم فيها اجمل آثار الشرق العربي. ومسجدها الاموي الذي كان معبد جوبيتر، ثم كان كنيسة شهيرة في زمن تيودوس، هو اليوم افخم جامع في سوريا. وقد بني مسجد السلطان سليم فيها في مكان قصر من قصور المماليك، ويرجع عهد كنيستها الارضية الى اول عهد المسيحية، وتضم ضرائحها رفات صلاح الدين ونور الدين والملك العادل شقيق صلاح الدين ومعاوية وغيرهم، وفي مقابرها يثوى احفاد الرسول... وفوق جدرانها وابوابها، وفي حدائقها دارت رحى معارك عظيمة. وقد اخفقت حملة لويس السابع والامبراطور دكونراد امام اسوارها.

ودمشق احدى مدن العالم التي تتيح للمرء ان يعود فيها من القرن العشرين هذا القرن الثائر المزعج، الى هدوء القرن الثاني عشر وسكونه في ضواحي الميدان والصالحية وفي احياء الامارة والقصنة وساروجه حيث يجد نفسه في زقاق ضيق تغطيه بلاطات كبيرة جاهمة، وتتلامس فيه البيوت ذات المشربيات، كأنها اخوات. وفي كل من بيوتها ذات الجدران الحزينة والابواب المغلقة ابداً، يغني ماء حوض. وعلى الدواوين في ايوان جميل، تقضي الروح الشرقية ساعات وساعات في تتبع حلم عابق بطيوب الياسمين...

ان دمشق في واحتها نعمة الهية... ان مياهها ومروجها، وسماءها الصافية ومناخها الصحي الجاف، تدعونا الى ان نشكر مع الشاعر «الله الذي جعل من دمشق درة جمال خضراء على وجه الارض».

النزعة الانسانية في شعر ايليا ابي ماضي *

بقلم عيسى ابراهيم الناعوري

*

الشاعر ليس ملكاً لنفسه، ولكنه ملك لأمته، وليس ملكاً لأمته فحسب، ولكنه ملك الانسانية باجمعها. والشاعر الذي تظهر في شعره صور المجتمع الانساني زاخرة بالعواطف، جياشة بالحياة، هو الشاعر الشاعر، والقصيدة التي يقرأها الناس على اختلاف مشاربهم واذواقهم وطبقاتهم، وعلى تباعد اوطانهم واقوامهم، ويشعر كل منهم بانه يرى فيها صورة نفسه، وصورة عواطفه، وتعبيراً عن آماله ونوازعه، هي الشعر بارقى انواعه، وهي الفن باسمى صوره

وعلى الرغم من الاحداث العظيمة، والظروف الصعبة التي تقلبت، وما تزال تتقلب، على الشرق العربي منذ صدر هذه النهضة، وقبلها، فقد انجب الشرق العربي شعراء، كانوا ألسنة صادقة للامة التي انشأتهم، وفي الوقت نفسه صدحت مشاعرهم بالحان هي من خيرة تراث الانسانية الخالد، وروائع غرره وتحفه.

وليس هنا مجال تقصي الشعراء العرب، الذين خدموا العروبة بمحاربة الظلم، وخدموا الانسانية بنشر المبادىء السامية في شعرهم فهم كثر، وان كانوا يتفاوتون من حيث غزارة المادة، وتفجر العاطفة، وصدق التعبير، وانما يعنيني الآن واحد منهم، واكتفي من نواحي عبقرية هذا الواحد المدهشة بناحية واحدة، ولغيري ان يبحث في نواحي عبقريته الاخرى، وهي كثيرة، وستكون شغلاً شاغلاً للاجيال، كغيرها من العبقريات الخالدة التي سلفت.

اما هذا الشاعر فهو «ايليا ابو ماضي»، واما الناحية التي يهمنا بحثها من نواحي شاعريته وعبقريته، فهي «النزعة الانسانية في شعره»، وهي بلا ريب أبرز خصائص شعره وشاعريته.

ولا بد لنا من ان نحدد، بعض التحديد، المعنى الذي نفهمه ونقصد اليه بلفظ «النزعة الانسانية». وهذا التحديد قد نجمله فيما يلي: «نشر المبادىء السامية، والمثل العليا بين الناس، بالدعوة الى الاخاء الانساني العام، ومحاربة النظم التي تباعد بين الانسان واخيه الانسان، والعمل على خلق مجتمع انساني امثل، يسوده العدل، والرحمة، والمحبة، والاخوة الصادقة». وتحت هذا التعريف القصير تنطوي معان كثيرة جداً، سيأتي ذكر بعضها فيما سيلي.

ولكي نصل الى مثل هذا المجتمع الامثل، لا بد لنا من: تقوية الضعيف، وتعليم الجاهل، والترفيه عن الفقير، وانصاف المظلوم، وتحرير المستعبد. ومعنى هذا ان محاربة الظلم في الامم الضعيفة المستعبدة، هي ركن هام من اركان النزعة الانسانية التي نريدها.

فاذا نحن اخذنا هذه الاعتبارات كلها بيد، ثم رحنا نبحث باليد الاخرى عن صدى لها في شعر ايليا ابي ماضي، وجدنا ان الرجل قد جاء في شعره بدرر غوال، تضاف الى ثروة الانسانية الخالدة. بل لعلنا لا نغالي اذا قلنا ان الجزء الاكبر من شعره انساني لانه وقف قلمه وشاعريته على خدمة المجتمع بصدق وباخلاص.

ولعل القصائد التي تعالج العلل الاجتماعية، والشقاء الانساني، والتي تهدف الى ترقية المجتمع البشري، وتخفيف ويلاته، عند ايليا ابي ماضي، اكثر منها عند اي شاعر عربي آخر، ولا سيما في عصر النهضة هذا.

والرجل يصدر في شعره عن طبع أصيل، وخيال واسع موهوب، واحساس نبيل متفجر، وافق انساني رحب. ففي شعره عذوبة وسلاسة وتدفق، وفي فكره طلاوة وجدة واشراق ولا بد من ان يترك لكل قصيدة من قصائده، تقريباً، أثراً عميقاً في نفس قارئه، لان شعره ينبع من قلبه، ولانه يعبر عن عاطفة، او فكرة، يشعر بها كل انسان، او على الاقل القسم الاكبر من بني الانسان، ولان كل قارىء، تقريباً، يجد في قصائد ابي ماضي صدى لما يشعر به، او يتألم منه، او يتمناه. ومتى وجد التجاوب القوي بين عواطف القارىء، وشعر الشاعر، كان لا بد للشعر من ان يترك اثره عميقاً في نفس القارىء، وبالتالي لا بد له من ان يعيش

* الموضوع الفائز بالجائزة الاولى في «مسابقة ركن المحدثين» في محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية في ٣ يناير سنة ١٩٤٦ ـ

على الالسنة، وفي الصدور، وان يشدو به الناس في مختلف ديارهم: في اسمارهم، وفي احاديثهم، لانهم يتناشدون به آمالهم وآلامهم.

من انسانية ابي ماضي، نزوعه الى الحرية. وهو يصور حبه لها تصويراً عميقاً حاراً مؤثراً في قصيدة من شعره الوطني، الملتهب حرارة واخلاصاً، عنوانها: «بلادي» ويقول في اولها:

مثلما يكمن اللظى في الرماد هكذا الحب كامن في فؤادي
لست مغرى بشادنٍ او شاد انا صبٌّ متيم ببلادي
يا بلادي، عليك الف تحية!

فهو يختمها بقوله:

كن نبياً يستنزل الالهاما كن مليكاً يصدر الاحكاما
كن غنياً، كن قائداً، كن اماما كن حياة، كن غبطة، كن سلاما
لست مني او تعشق الحرية!

والحرية الصحيحة هي الدعامة الاولى التي يمكن ان يقوم عليها المجتمع الانساني الامثل، والاخاء الانساني الشامل، والسعادة الانسانية العميقة الواسعة.

ومن انسانيته – وما اروعها انسانية، وما انبلها! – رغبته في ادخال الطمأنينة الى النفوس المتألمة. فهو يقول في قصيدته: «ابتسم»!:

قال: السماء كئيبة! وتجهما قلت: ابتسم، يكفي التجهم في السما
قال: الصبى ولّى! فقلت له: ابتسم لن يرجع الاسف الصبى المتصرما
قال: العدى حولي علت صيحاتهم أأسرّ والاعداء حولي في الحمى؟
قلت: ابتسم، لم يطلبوك بذمهم لو لم تكن منهم أجل واعظما
قال: الليالي جرعتني علقماً! قلت: ابتسم ولئن جرعت العلقما
فلعل غيرك ان رآك مرنماً طرح الكآبة جانباً وترنما

اي انسانية سامية في هذا البيت الاخير: «فلعل غيرك ان رآك مرنماً، طرح الكآبة جانباً وترنما»؟! ويقول في قصيدته: «المساء»:

لتكن حياتك كلها أملاً جميلاً طيبا
ولتملأ الاحلام نفسك في الكهولة والصبى
مثل الكواكب في السماء وكالازاهر في الربى
قد كان وجهك في الضحى مثل الضحى متهللا
فيه البشاشة والبها ليكن كذلك في المسا

وفي قصيدته «فلسفة الحياة» يقول:

ان شر الجناة في الارض نفس تتوقى قبل الرحيل الرحيلا
وترى الشوك في الورود، وتعمى ان ترى فوقها الندى اكليلا
ليس اشقى ممن يرى العيش مراً ويظن اللذات عبئاً ثقيلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف ان يزول حتى يزولا
كن هزاراً في عشه يتغنى ومع الكبل لا يبالي الكبولا
لا غراباً يطارد الدود في الارض وبوماً في الليل يبكي الطلولا
كن غديراً يسير في الارض رقراً قاً، فيسقي من جانبيه الحقولا
لا وعاءً يقيد الماء حتى تستحيل المياه فيه وحولا

☆

ومن انسانية ابي ماضي حدبه على الاشقياء من بني الانسان وتصويره لهذا الحدب بصورة مؤثرة جداً، والتصوير البارع المؤثر من ابرز خصائص ابي ماضي الشعرية. مثال ذلك قوله في قصيدة «اليتيم»:

انني كلما تأملت طفلاً خلت اني اري ملاكاً سويا
قل لمن يبصر الضباب كثيفاً: ان تحت الضباب فجراً نقيا
اليتيم الذي يلوح زرياً ليس شيئاً – لو تعلمون – زريا
انه غرسة ستطلع يوماً ثمراً طيباً وزهراً جنيا
ربما كان اودع الله فيه فيلسوفاً او شاعراً او نبيا
ان يك الموت قد مضى بأبيه ما مضى بالشعور فيك وفيا
ان هذا الطفل الصغير ملاك كيف ترضون ان يكون شقيا؟

وتتجلى لنا انسانية ابي ماضي على اروعها، في ثورته العنيفة على اولئك المتغطرسين الذين لا يشعرون بشقاء الناس، وهم في ابراجهم العاجية السامية، فتنال الكلاب والقطط من حبهم وعطفهم وعنايتهم، ما يحرمه الانسان. فيهتف في قصيدته: «الطين»:

نسي الطين ساعة انه طين حقير، فصال تيهاً وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى وحوى المال كيسه فتمرد
يا اخي! لا تمل بوجهك عني ما انا فحمة ولا انت فرقد
لك في عالم النهار اماني ورؤى والظلام فوقك ممتد
ولقلبي كما لقلبك أحلا م حسان فانه غير جلمد
أأماني كلها من تراب وامانيك كلها من عسجد؟
وأماني كلها للتلاشي وامانيك للخلود المؤكد؟
ايها المزدهي! أأنت مسك السقم، الا تشتكي؟ الا تتنهد؟
أدموعي خلٌّ، وأدمعك شهدٌ وبكائي ذلٌّ، ونوحك سؤدد؟
انت مثلي من الثرى واليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد؟

وليس هذا فقط، فالقصيدة طويلة بحيث لا يتسع المجال لسردها ولكنها من اروع قصائد ابي ماضي – وكل قصائده رائعة –. واذا قلنا هذا، فمعناه انها، في رأينا، من عيون الشعر العالمي، لا العربي وحده.

وكم كنا نتمنى لو كان يتسع المجال للاستشهاد بكثير من هذه الذخائر الفنية الغالية التي خلقتها عبقرية ابي ماضي، وخلقتها انسانيته النبيلة السامية. ولعمري اننا لنستطيع ان نقف بوجه الغرب بكل فخار واعتزاز، حاملين بايدينا هذه الثروة النفيسة، النادرة المثال، من شعر ابي ماضي، لنقول له: ان كنت تفاخر بشعرائك العباقرة الخالدين، فها نحن لدينا ايليا ابو ماضي. وحسب الادب العربي فخراً ان يكون من رجاله ايليا ابو ماضي، في مدى هذه الفترة القصيرة من تاريخه، التي ندعوها بعصر النهضة الحديثة.

القدس عيسى ابراهيم الناعوري

خيال امراة

غداً ينتفض على الشفق البعيد غيمة ضاحكة
فاذهبي معها وارقصي على ملاعبها المرحة
ولا تلتفتي الى الوراء
الى هذا المتحنث الغريب

المندفع وراء حبه الجنوني
وراء عاطفة ساخرة
تقف به على الف عتبة
من ورائها الف طريق
وفي اجوائها الف نغم
حتى اذا اتعبه التردد
ومال الى ساعة طمأنينة واستقرار
تعود هذه العاطفة وتحط به على شفير من اليأس
حيث لا عتبة ولا طريق ولا نغم

غداً ترجع الطيور الربيعية لتشارك الروض اعراسه
فالبسي اجنحة كأجنحتها واشربي في كؤوسها اطيب خمور الارض
ولا تهتمي بهذا الصبي الساذج يلهو عن الكأس الضاحكة في يده
ليحلم بالخمور المحتجبة على موائد الآلهة
غداً يستصرخك صوت لعله الضمير
يسأل عن حب تعمدت تهديمه فلا تصغي اليه
لأن المحبة لا تعترف بارادة غير ارادتها
فاما ان تفرض نفسها بنفسها او ان تتلاشى امام قساوة الحياة
التي لا تجمع الى بيادرها الا النخبة السليمة من هذا الحصاد الغزير
اما انا فسأشعل ناراً
فاحرق ماضي بما فيه من قصور وبقايا قصور

ومن ذكريات وحنين الى الذكريات
فاتخلص من سلطانه علي
ثم التفت الى المستقبل دافعاً به الى النار
بما فيه من احلام واغراء احلام

ومن وساوس ومخاوف
فأتملص من سلطانه ايضاً
ثم اقف في اللمحة التي انا فيها
افرض الوانها على كل شيء
الى ان يلين لي هذا الزمان
فالتفت الى الرماد حولي وانفخ فيه عاصفة
تذريه في الفضاء
ويظهر من دونه زنبقة لم تقوَ النار عليها
ترمز الى المحبة السرمدية
التي اضمرها لك والتي اخاطبك الان باسمها
وفي طرفة بل تتحول الزنبقة هذه الى خيال امرأة هي انت
انت في الضحكة الساذجة التي احبها
انت في الضحكة الاولى
يوم لم يشغلك عني خوف ولا تردد
فأضم هذا الخيال لي
كأن حياتي من ماض وحاضر وآت
تجتمع في هنيهة واحدة
حيث تنحجب عني هذه الارض
وتنشق السماء عن كأس خمر
غداً تشرد بك الحياة على ملاعبها الضاحكة
خالعة عليك اجنحة الطيور الربيعية
فلا تلتفتي الى الوراء
ولا تهتمي بهذا الصبي الساذج يحطم الكأس الطافحة في يده
لقاء خمرة هيولية في عالم خرافي من هيولى الاحلام .

حلمي المعلوف

الاخلاق عند الادباء

بقلم عبد اللطيف شراره

*

وهذي مشكلة جديدة يثيرها صديقي « محمد روحي فيصل » ، من جديد ، في حديثه عن « أدباء السوء » ، بيد أنه وقد أنهاها بما يتفق ورأي الشاعر ، بول فاليري ، في الموضوع ، لم يوفق – في رأيي – الى حلها ، لان فاليري نفسه عالجها بروح أدبية خالصة ، على الرغم من علو كعبه في « ملكوت » الفكر ، وسماء الفن .

وأحسب ، أن فاليري وأشياعه من قادة الفكر في هذا العصر قد أساءوا من حيث لا يشعرون الى قيمة الادب ، وقيمة الادباء حين أخذوا بهذه النظرية الخاطئة في دراسة السيرة الادبية ، أو السيرة الفنية بوجه عام . . . فقد كانت من نتائج ابحاثهم واستنباطاتهم وملاحظاتهم هذه الفكرة الشائعة في جميع الاوساط الاجتماعية – ومنها الادبية – أن الاديب ، او رجل الفن ، على الاعم الاغلب ، كائن شاذ غريب ، وشذوذه يظهر ، أكثر ما يظهر ، في أخلاقه المنافية للاخلاق ، وتصرفاته السيئة التصرف . . .

ولم تكن هذه الفكرة لتنتشر ، وتلاقي الرضى والقبول في نفوس الناس الا لانها تدغدغ فيهم ما أدعوه ، وقد دعوته قبل اليوم « حاسة الشماتة » فان المجتمع الانساني ، اي مجتمع كان ، يتجاذب أسباب العظمة فيما بينه ويتدافعها كما يتجاذب اسباب الغنى والثروة ويتدافعها ، عيناً وتماماً . فهو لا يرضى عن الفرد الذي يؤكد في الحياة فرديته ، وهو لا يقر بالتفوق لامرىء الا تحت طائلة المنفعة المحسوسة التي يجنيها من تفوقه ؛ وفي كلتا حالتيه : السخط والرضى يظل الحسد ، حسد المجموع للعبقري ، نقطة الارتكاز في ازرائه به ونبذه اياه ، او تقديره له وعطفه عليه . . . وهذا هو سر تلك الحقيقة التي عبر عنها المثل العربي : « لا كرامة لنبي في وطنه » ، بل هـذا هو المعنى العميق الدقيق ، ولكن على شكل آخر ، لقول الياس فياض في رثاء طانيوس عبده :

لا تبكه فاليوم بدء حياته ان الاديب حياته بمماته

ولقول أبي شبكة في رثاء الياس فياض :

زهر المجـد لا يفتح للشاعر الا على ضفاف القبور

اذ لا تجد « حاسة الشماتة » الاجتماعية مجالا للظهور بعد اختفاء العبقري عن المجتمع ، سواء كان مظهر الاختفاء هجرة او موتاً . . .

وثم عامل آخر أدى الى انتشار تلك الفكرة عن الادباء ، والى اقرارها في الاذهان نهائياً وهو « الواقع التاريخي » فان معظم المشاهير من أصحاب الموهبة الفنية – والفلسفية احيانا – لم يخل من نقيصة أخلاقية ، او عاهة جسمية ، او آفة او عادة ذميمة . . . فكانت تلك النقيصة او الافة « رأس مال » كبير في يد العامة من الناس ، يرجعون اليه كلما ارادوا الازراء بالفن وأهله ، والادب وأهله ، والفكر واهله . ولم يفطن اكثر مؤرخي الادب ، ومن ورائهم جمهور البشر ، الى هذه القضية البسيطة الواضحة ، وهي ان الكمال ليس من شأن الانسان في هـذه الارض ، وان العصمة لله وحده ، وان الاديب ، او رجل الفن ، لم يخرج عن كونه انسياً – لا جنياً – وان امتاز وتفوق . . .

اما الذين فطنوا لهذه الناحية ، فقد اكتفوا بان جعلوا الملكات الفنية في واد ، والاخلاق في واد آخر ، ورضوا بان يتجزأ حكمهم على الفنان تبعاً لهذه التجزئة ، فاصبحوا يعجبون بشعر أبي نواس مثلا ويسترذلون سلوكه ، أو يقرون ابا الطيب المتنبي في حكمه ولا

يقرونه على بخله . فقد جاء في كلام ابن حيان ، المؤرخ الاندلسي الشهير ، بعد ان ذكر قصة الاديب أبي مروان عبد الملك بن زيادة الله الطبني الذي قتلته زوجته بمعونة اولادها لشدة بخله ، ما يلي : « وللغرائز المنظورة سلطان على النفوس لا يغالب بصدق نظر ، ولا قوة معرفة ... » وجاء في كلام ابن بسام ، صاحب « الذخيرة » حين عرض لذكر اديب متهتك اسمه : خلف بن فرج الالبيري قوله : « لكنه ليست ضعة المرء في نفسه بذهبة جوهرية الادب المركبة في الانسان . » وقد اوما خلف بن فرج الى ذلك بقوله :

حسي صحيح ولكن	هو اي يوهن حسي .
فصح رأيي لغيري	ولم يصح لنفسي

وهذا هو الرأي السائد اليوم ، وهو يتلخص في ان ادب الاديب شيء ، واخلاقه شيء آخر ، وان صدق النظر وقوة المعرفة شيء ، وتطبيق النظر والمعرفة على النفس شيء آخر ...

— ١ —

هذه الآراء في تفسير سير الادباء والموهوبين من عباقرة الفن لا تعد وان تكون في جملتها « آراء » ، اي انها لا تمس الحقيقة من قريب ، ولا تدل الا على فهم شخصي محض للحوادث والظواهر ، فاذا اكتسبت هذا اللون من الشمول ، وتعدت على درجة من الوضوح والصحة والقوة حتى نزلت من العقول منزلة الحقائق ، فلان البشر لا يزالون يحبون الحياة ، ولا تزال الحياة تعجبهم ، فلن يطيب لهم من الافكار الا ما يوافق هذا المزاج المحب للحياة ، والمعجب بها .

وكل ما يختلف به رجل الفن عن غيره هو بالضبط انه لا يحب الحياة ، هذه المشكلة التي فرضت عليه فرضاً دون ان يكون له في الامر حق الاختيار او المشورة على الاقل ! ! فكأنه يولد ، حين يولد . وفي جبلته الاصيلة هذا النفور من حياته ، فلا يلبث ان يعبر عن فطرته بعد ان يكبر وينمو بجب الانغام ان كان موسيقياً ، ومطالعة الكتب ان كان اديباً ، ونحت الاحجار ان كان مثالاً ، وتزويق الالوان ان كان رساماً ، وهلم جرا ... ولا هم له الا ان يعيش بمقدار ما يصرف همه في وسائل فنه واساليبه وتنافذجه واخراجه ، وهو في جميع حالاته ، منصرف عن الحياة الى حياة اخرى ، لا نعرفها الا حين يصورها لنا بما اوتي من براعة خاصة ، واتجاه خاص !

ارجع الآن الى تاريخ الفن في جميع العصور ، عند جميع الامم تجد مصداق هذا المعنى الذي احاول ان اكشفه ، وستجد ان الكل شاعر او اديب عالماً خاصاً ظل مجهولاً ، ولا يتاح لك ان تسبر غور ذلك « المجهول » الا حين تتلبس الواقع الذي كان يعيش فيه بكل ما يحيطه من ظروف وحالات ، ومتى شاركت الشاعر في آلامه ، ونفذت الى قرارة مصائبه ، ومزجت دموعك بدموعه ، تستطيع حينئذ ان تفهم بعض الفهم لا كله ، اسرار انحرافه ، واسباب تصرفاته ، ثم تدرك بعد ذلك ان التعميم في القاء الاحكام ضرب من الشطط ، ان لم يكن جوراً وعجزاً عن الادراك !

ولكن هناك تبايناً واختلافاً في المظاهر ، مظاهر النفور من الحياة عند رجال الفن ، وان كان الجوهر واحداً ، حتى ليتمثل احياناً عكس ما هو في الحقيقة ، كأن يبدو لاعين الناس في الغرام بغانية جميلة ، او في التعلق بمنصب من المناصب ، او في جمع المال ، وحتى في اللصوصية وقطع الطرق وثلب الاعراض وانتهاك الحرمات ، وهو ابرز ما يكون في التشاؤم ، اذ تتضح معالمه ، ويصوره صاحبه في فنه كما يصوره في سلوكه .

والتشاؤم انواع : فمرة يكون عبثاً واستهتاراً واسترسالا مع اللذائذ الرخيصة والمتع الفانية كما هي الحال عند ابي نواس وعمر الخيام ومن لف لفهما ، ومرة يكون امتعاضا واشمئزازاً يميلان بصاحبهما نحو التزام العزلة والصمت والهدوء وايثار المرارة على الحلاوة كما هو الشأن في حياة ابي العلاء المعري والشاعر الفرنسي الفرد دو فيني ، ومرة ثالثة يكون في النضال والثورة اللذين يستهدفان قلب الاوضاع ورفع مستوى الناس كما هو الامر عند جوته وبيرون والمتنبي ... الا أنه في كافة انواعه يصطبغ بالسخرية والنقمة ! !

— ٢ —

اذا تقرر لديك هذا المعنى ، وهو أخص خصائص الطبيعة الفنية ، يصبح من الفضول أن نسأل : « أيكون الاديب رجلا اجتماعياً ؟» لان الاجتماعي بطبيعة اجتماعيته عادي لا يؤمل منه خير ، ولا يرهب لشر ، فهو متملق للحياة مترام على أقدامها ، وكثيراً ما نراه يكبر رجال الادب والفن ويظهر اعجابه بشكسبير او بامرىء القيس أو بالبحتري مسايرة للرأي العام ، وزلفى لرضى المجموع ، وهو لا يفهم من الادب ولا من الفن شيئاً ! ... وانما المهم ان نسأل : « هل للرذيلة يد في الانتاج الفني ؟ » فهذا ما ينبغي لنا ان نناقشه وان نستقريء نصيبه من الصحة !!

ليست الرذيلة ، عند آخر تحليل ، بجميع ما تنطوي عليه من نزعات نفسية ، وما يواكبها من خصائص ظرفية ، وما يصدر

منها من جنح او جرائم ، ليست غير نتيجة انحلال في الشخصية . وهذا الانحلال يتخذ صفته القانونية الاخيرة عند ارتفاع التبعة عن عاتق المرذول او المجرم ، اذ يصبح من الجنون محاكمة الابله او المجنون او المشلول ، واجراء العقوبات عليه ! ولكن ، هل يتأتى لهذا « المنحل » مهما كانت درجة انحلاله الذي عفا عنه القانون الاخلاقي ، بله المدني ، ان ينتج فناً رفيعاً او شيئاً من الفن رفيعاً ؟

يجب ان نكون جهلة او بلهاء لنؤمن بذلك ، ولا يستقيم لنا ان نؤمن به الا مع الجهل والبلاهة !! واذا صح وانتج كما حدث للشاعر الفرنسي فيللون وجب ان ندرس رأيه الخاص في اعماله التي نأخذها عليه ، فقد يكون له مبرر معقول ، وقد تكون له فلسفة في اللصوصية يطبقها ، وقد تكون وراء تصرفاته عاطفة « معقولة » كالعاطفة التي تهيب برجال السياسة لاعلان الحرب او كتلك العاطفة التي كانت تهيب برجال الكنيسة لاحراق الهراطقة !! وقد نشأ فيللون في أحط عصر ، وعاشر أحط الناس ، وتمرس باحط حياة ، فاذا اعتبرناه مسؤولاً من وجهة اخلاقية ، كان عصره ومجتمعه وانظمة مجتمعه جميعها مسؤولة ايضاً .. فليس ثمة ما يمنع ابداً ان تكون هي السبب الفعال في انتشار الاجرام ، والعامل الاول في انحلال الافراد !!

نخلص من هذا المثل الى نتيجة هامة بعيدة المدى ، وهي ان اخلاق الاديب كأخلاق اي انسان هي « محصول » القوى الاجتماعية التي تعاونت وتفاعلت فيما بينها فأنشأت فيه هذا الخلق او ذاك ، وايقظت هذه الغريزة واغفلت تلك ، واحيت هذا الميل وقتلت الآخر ... اما فنه فانه ينبع من فطرته السائغة الخالصة ، وهو وحده يعبر عن حقيقته ، وبه وحده تنكشف لنا حقيقته .

ولو كان للرذيلة يدٌ في الانتاج الفني ، كما يحسب فاليري وكان الشذوذ الاخلاقي صفة تلازم الادباء - بعضاً او كلاً - لوجب ان يكون المجرمون قاطبة في عداد الشعراء والمثالين والموسيقيين والمصورين والكتاب . وما على الدولة حينئذ الا ان تشجع الاجرام ، وان تضع الناس كلهم في السجون ليخرجوا لها روائع الفن ، وتباهي بها الامم !!

ولكنها الرمزية ... ولكنه الشعر الصافي ! هذان هما اللذان جرا فاليري الى هذا اللون من التفكير ، فذهب ينقب ويفتش عما يسميه « الحالة الشعرية الصافية » فاهتدى بعد لأي الى فرانسوا فيللون ، وكان ان « ضرب لنا مثلاً ونسي خلقه »!

بقيت نقطة في الموضوع هي اهم ما فيه ، تتصل بعلم الاخلاق ، وهي علاقة الذكاء بالاخلاق ، فان الخلق العالي مقرون ابداً ودائماً بالذكاء النافذ المتقد ، وانه ليعسر ان تجد امرأ ذكياً بالمعنى الشامل السامي لهذا النعت لا يقيم وزناً للمبادىء النبيلة ، والافعال الشريفة ، والشمائل الرضية ، ثم لا يحاول ان يعمل بما يفهم ... واذا وجد هذا الذكي ، فالشك في ذكائه أمر مفروغ منه ، اذ لا بد وان يكون الخلل قائماً في طرائق تفكيره ، قبل ان يكون في ارادته او حساسيته . وان من يكفر بالصدق ، ولا يهتم للوفاء وعرفان الجميل ، ويهزأ بالاخلاص ، ويسخر من الامانة ، ويتلذذ بايذاء الغير ، لا يدل بذلك ، او بشيء من ذلك ، على « عقل » كبير ، ولو كان النجاح حليفه في بعض الحالات والاجواء والاوساط ...

ذلك ، لان المعاني الاخلاقية ليست - كما يتوهم البعض ! - من مخترعات الخيال ، ولا هي من أوهام الفكر العاثر ، وانما هي قوانين ولكنها غير مكتوبة ، ولا يقرؤها الا من ارتفع بعقله ، وسما بمداركه . فالفكر القويم هو الذي يقف على خدمة الخلق القويم .

والعمل الفني يقوم قبل كل شيء على العقل والملكات العقلية من ادراك ومحاكمة وتخيل وذاكرة ، حتى ان فاليري نفسه يذهب الى ان نظم الشعر - العالي طبعاً - رياضة ذهنية بحتة كالحساب والجبر والهندسة ، وان استعان الشاعر بالعواطف والاحاسيس وكان له منها حافز ومثير في أغلب الاحيان فلا بد وان يكون الاديب ، اي أديب ، ذكياً متوقد الذهن ، غني العقل ، وما عرف التاريخ في دور من ادواره أديباً او فناناً كان غبياً بليداً .. والاديب الحق ، بحكم ذكائه ، رجل اخلاق ، لان الاخلاق هي آخر حقيقة ينتهي اليها العقل الصحيح ...

فاذا اضفت الى ذكاء الاديب نفوره الفطري من الحياة ، وتصورت ما ينجم عن زواج هاتين الصفتين في نفس واحدة ، ثم نظرت الى المجتمع وما يرسب في اغواره من حماقات وحقارات أدركت علل الانحرافات التي تعتري الجانب الخلقي عند كثير من اهل الادب والفن والفكر ، فما لنا الا ان نصلح المجتمع لينتج فناً صالحاً ... وفنانين صلحاء !

صيدا　　　　عبد اللطيف شراره

مقارنة واعتراف

بقلم الآنسة فلك طرزي

★

أخي الاستاذ الكبير منشي « الاديب »

بالامس القريب كانت لها شاعرية ، وقدرة على التحليق ، اذ خفة الجناحين كانت تتغلب حينذاك على ثقل القدمين . . فكانت تطير ، لا بروحها فحسب ، ولا بناظرها وقلبها فحسب ، بل كانت تطير « بكلها » وتحلق . . . وكان الجناحان يرفرفان في فسحة رحبة دون ان يرتطما بالصخور الناتئة التي تدمي والتي قد تحطم .

وانت تدري اي معنى تعنيه كلمة التحطيم . . . فقد لا يكون بعد الكسر جبر بل اشلاء مبعثرة ، قد تتحدث عن ماض ومجد ، وقد تستجمع بقية الرمق لتعود الى الحياة من جديد بقوة جديدة ومفهوم جديد . . . ولكن ما لنا ولهذا فليس هو الذي يعنيني . .

*

بالامس القريب كانت فتاة . . فأين هي؟ ومن تكون ؟ واية صورة تُرى صورتها ؟ . . . فتاة الامس القريب . . . يخيل اليّ اني اراها . . . ولكن منفصلة عني بقدر ما هي متصلة بي . . . اني اراها جزءاً قد اضيفت اليه جزئيات لتتم عناصره . . . اني اراها الغريبة عني بقدر قربها مني . . . اني اراها ذات العين الحالمة التي كانت لا تستشف من الدنيا سوى الاحلام الزاهرة . . .

اني اراها ذات السمع المرهف الذي كان يخدش ، ان هفا اليه من اصوات الحياة غير نغم التغريد والخرير ، وهمس حفيف الشجر ! اني اراها الفتاة التي كانت تخلق الهم خلقاً فتيأس وتتشاءم ، حيث لم يكن موضع لليأس والتشاؤم !

اما اليوم . . . فاين فتاته من فتاة الامس ؟ اين تلك من هذه التي لا تستطيع لمس الورد الا بعد ما يدمي الشوك اصابعها ؟

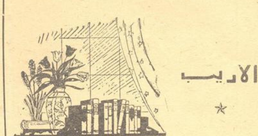
ولا تسمع الخرير الا وتسمع ما قد ينبعث معه من شكوى وانين بشري ؟ وتصغي الى نغم الطير ، ولكن غناء الطليق الحر يذكرها بسجنها ويحرك فيها لحناً من الاشجان تتألف منه مجموعة شتى من النغمات . . . تسمعها في بادىء الامر مضطربة ، ثم لا تلبث حتى تنتظم شيئاً ثم تتوضح . . . فاذا بالتمرد والتساؤل والحاجة الملحة الى المعرفة تتسلسل معانيها فيها ، وتنجلي عنها رويداً رويداً كما تجلو اولى اشعاعات الفجر معالم النهار ، حتى يتألف من هذه المجموعة سمفونيا عاملة تتغلغل الى ما وراء الوعي لتكشف عن كل سانحة يحول العقل الواعي بينها وبين النور . . .



الآنسة فلك طرزي

فتاة اليوم تشعر بالثقل يجر قدميها الى الارض . . . الى القرار . . . لتبصر ما يجري فوقها . . . ولتسمع ما ينبعث من اغوارها ، والتمس الحقائق التي تملؤها ، فتاة اليوم تحاول بجناحها الغوص في الاعماق ، لتكسبه المعرفة قوة وعافية يحميانه عند التحليق من التدهور ، وتمنحانه القدرة على التجول الحر الطليق الذي

الاديب



★

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

– لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية

« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ « »

« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ « »

« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ « »

ويحسم ٢٠ ٪ لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

★

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار شملي

◆

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

لا تقيده الاغلال ولا تقوى على اعتراض سبيله العثرات !

فتاة اليوم قد عرفت ما هو الهم وما هو الالم ، فلم تيأس ولم تتشاءم ، بل أملت وتفاءلت لانها ادركت بعد الامتحان ، ان الالم مقوم النفوس وخالقها ومصيغها ، والمسؤولية منشئة الهموم ، وان قدرة الانسان لا تقاس الا بمقدار احتماله الالم واستخلاصه معانيه ، وشخصيته لا توزن الا بطاقته على تحمل المسؤولية !

فتاة اليوم ادركت ان الصفحات في سفر الحياة ليست كلها بيضاء ، بل منها ، وهو الاكثر ، ما هو قاتم مظلم ، لانها ادركت ان حدود ذاتها لا ترسم دائرتها حدود شخصيتها فحسب ، انما حياة هذه الذات تتجاوز هذه الدائرة لتتصل باخرى هي بيئتها : بل هي تتجاوز هذه ايضاً لتتصل بالحلقة الكبرى التي تتألف منها الانسانية ، فتفنى فيها كما انبعثت منها ذرّة في مهبها ، وقطرة في اوقيانسها المتلاطم ، فاذا غاصت فيها وخيل اليها انها خبرتها ، انفصلت عن الفريق الذي يتبين تباعداً ، بين اتجاهها واتجاهاته ، واتصلت بالذي يتضح لها امكانية التفاهم معه والتعاون على محو السواد من اكبر عدد من صفحاتها !

*

فتاة الامس وفتاة اليوم . . . ايهما اجدر بالحياة؟ اتلك التي كانت تطير «بشكلها» الخفيف قبل ان تثقله الخبرة النسبية والعبر ؟ ام هذه التي قد تطير ولكن بعد الغوص وتصميم الخطة وبعد استكمال العدة التي تهدي الجناحين السبيل المستقيم ؟

فتاة اليوم بلا ريب ، لانها بنت الالم الذي علمها ان تنظر في مرآة الكون لترى صورتها معكوسة فيها ، ولانها بنت التجارب التي حولت حسها من فردي الى اجتماعي ، فاذا شعرت ببعض ما يشعر به مجتمعها او قسم من هذا المجتمع ، من حاجة ملحة الى نفض ما هو متراكم عليه من مختلف الاثقال ، اذا شعرت بهذا او ببعضه ، آلت على نفسها ان تساهم مع المجتهدين الجادين ، في رفع ما بوسعها ان ترفع عنه من هذه الاثقال كي يتسنى له ان يتنفس وان يبلغ يوماً ما ترغب به وتنشد من حرية وسعادة ورخاء .

دمشق فلك طرزي

اداة النسبة في الترجمة

*

في عصرنا هذا، عصر النقل عن الغرب، نرى الاستخراج عن الالسنة الاجنبية الى العربية على درجات متفاوتة. فهناك طبقة من المترجمين البارعين – وقليل ما هم – الذين لتضلعهم من العربية واللغات الغربية، ووقوفهم على اسرارها ودقائقها، يتحفوننا بتعريبات بديعة، لا يتخيل انها نقل، بل نثر عربي فصيح. هناك طبقة وسطى، طبقة التعريبات التي لا بأس فيها. فهي صحيحة العبارة، لكن يشتم منها رائحة الترجمة لاول وهلة، هناك اخيراً الطبقة السفلى، طبقة المترجمين المتسرعين، او الجهال، او المتعمدين الاستغراب، اي الناقلين نقلاً حرفياً، فتأتي ترجماتهم ممسوخة، لا يفهم منها شيء.

على ان فريقاً كبيراً من المعربين، حتى الجيدين بينهم، لا يراعون دائماً الفروق بين خصائص اللغات، فتكون تعريباتهم معيبة، لمخالفتها اصول العربية، من ذلك عدم مراعاتهم قواعد النسبة.

ان الاداة المستعملة في العربية للنسبة هي الياء المشددة كقولنا: بغداديّ، لبناني، فلسطيني، سوري، مصري، عربي، انكليزي مدرسي، يومي، ليلي.

اما في اللغات الاجنبية فليس من اداة واحدة للنسبة، بل هناك ادوات متعددة، تستعمل كل واحدة منها لطائفة من الكلمات دون غيرها. من جملة هذه الادوات: - ien - ain - ais - iol - ique - iste - isme - الخ. كقولك italien, français fasciste, americain, espagniol, anglais, bolchevique.

فعند تعريب مثل هذه الكلمات، يجب حذف كل اداة من هذه الادوات والاستعاضة عنها بياء النسبة العربية، والا استعمل اداتان بمعنى واحد، مما يثقل على اللفظ والسمع، بمعزل عن كونه مخالفاً لقواعد اللغات.

هذا ما كان يجري سابقاً في بعض الالفاظ. مثل ايطالياني، اسبانيولي، اميركاني، دومينكاني، فرنسيسكاني، كرملتاني، سالسياني. لكن بعد ان تكررت انتقادات اهل العلم في اللغة، لم يعد اليوم بين المعربين والكتاب من يقول الا: ايطالي، اسباني، اميركي، كرملي، دومنكي، فرنسيسي، سالسي.

على ان هناك طائفة من غير هذه الالفاظ لا يراعى فيها حتى اليوم قاعدة النسبة، فتضاف الاداة العربية، مع ابقاء الادوات المختصة باللغات الاجنبية. من ذلك قولهم: فاشستي، فاشستية. بولشفيكي، بولشفيكية. رومانتيكي، رومانتيكية. كلاسيكي كلاسيكية. جمناستيكي، جمناستيكية. اوتوماتيكي، اوتوماتيكية ميكانيكي، ميكانيكية. باسفيكي، اطلانطيكي. استوئيكي، استوئيكية.

ففي كل من هذه الكلمات يوجد اداتان للنسبة، الاداة الاجنبية، والاداة العربية، مما لا داعي له منطقي. والا لمَ لا يقال: بغدادياني (عوض بغدادي)، محمداني (بدل محمدي) اسلاميكاني (بدل اسلامي) بودستاني (عوض بوذي) اذن لاصلاح الالفاظ الواردة اعلاه، ينبغي ان يقال: فاشي، فاشية. بلشفي، بلشفية. رمانتي، رمانتية. كلاسي، كلاسية. جمناستي، جمناستية. اتوماتي، اتوماتية. ميكاني، ميكانية. باسفي، اطلانطي، استوئي، استوئية. هذا اذا استعملت هذه الكلمات الاجنبية على حالها، دون ان تترجم بما يقابلها في العربية، وهو الافضل.

من هنا يتضح ما يلزم المترجمين من التفكير والتروي والمقابلة بين قواعد اللغات الغربية والعربية، تحاشياً من السقوط في مثل هذه الاغلاط البينة العيب. والسلام.

القدس — الاب مرمرجي الدومنكي

ألقـــاب

★

أنا لستُ شاعر حمص، فيما يدّعي قوم، ولست بشاعر للناس
انا شاعري. انا عالمي. انا امتي. وهناك شعري، في ضمير الكاس
وعلى رفيف الفجر، شق وشاحه، وكسا الوراد، ومد درب الآس
وعلى ظلال الهُدب، أيقظ في دمي خدَراً، وافى مفاصلي بنعاس
وسنان، في أعماقه حُلُمٌ، وفي دنياه، طيف ملالة، او ياس
يا هدب، آه، ويا ضلالي في الهوى، آمنت، بعد تمرد وشماس
من لي بتكأ، وراء ظلاله، أنسى به الدنيا، وهل كالناسي؟

☆

قل للعبيد، اذا ثغوا، وتنازعوا سف الغبار، يعض بالانفاس،
مرحى لكم، وتكومت القابكم في الشعر، اكداساً على اكداس،
القابكم، عبث الوليد، ومجدكم ارض، وفرط غناكم، افلاسي،
اني، على فقري، أبيت رداءكم، ورأيت ثوب العري، خير لباس
انا شاعري، انا عالمي، انا امتي، انا من عدا، في الشعر، كل قياس.
دنياي، بي، وانا، بها، ما بيننا — وقد امتلأنا — موضع للناس!

حمص — وصفي قرنفلي

مكانة المرأة في الاسلام

بقلم الدكتور
صبحي المحمصاني
رئيس غرفة في محكمة الاستئناف بيروت

★

في هذه الآونة التي تعقد فيها المؤتمرات ، ويكثر فيها التحدث عن المرأة وعن حقوقها المدنية والسياسية ، نرى من الفائدة ان نلم الماماً يسيراً بما هي عليه المرأة المسلمة من وضع شرعي ، بالاستناد الى المصادر الموثوق بها في هذا الباب .

وان هذا المجال اقصر من ان يحيط بتفصيل فروع هذا الموضوع الوسيع ، لذا نقتصر على لمحة سريعة في حقوق المرأة الخصوصية دون السياسية ، فنكتفي ببحث بعض العموميات المتعلقة بالسلطة الزوجية وبانحلال الزواج وبحق الارث والنفقة وتعدد الزوجات والحضانة والوصاية .

السلطة الزوجية او ولاية الرجل على نفس زوجته

من القواعد الكلية التي بني عليها اساس العائلة واساس المجتمع الانساني في كل مصر وعصر ، والتي لم تكن خاصة بالشرع الاسلامي وحده ، قيام الرجل برئاسة العائلة وبما يتفرع عن ذلك من اشراف على افرادها وتعهد لمصالحهم .

ومن فروع هذه القاعدة رعاية الرجل لزوجه . ففي القرآن الكريم الآية : « الرجال قوامون على النساء »(١) . فهذا القيام يستتبع واجب المرأة ان تطيع زوجها فيما هو مباح شرعاً ، وان تقيم معه في المسكن الشرعي ، وما الى ذلك . وعلى هذا نصت اليوم القوانين العصرية ، كالقانون المدني الفرنسي (في المادتين ٢١٣ و ٢١٤) ، وغيره .

ولم توضع هذه القاعدة لصالح الرجل بقصد استثمارها اثرة واستبداداً . بل وضعت لغاية سامية ، هي مصلحة العائلة جمعاء ، والحرص على توفير الانسجام فيها وجعلها مترابطة الحلقات متماسكة الاجزاء . وهذه الغاية النبيلة هي التي اثبتها القرآن الكريم بالاية : «وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون»(٢) . فلذا اشترطت رئاسة الرجل بواجب يقيدها ، الا وهو واجب الاحسان في معاملة الزوجة وواجب مبادلتها العطف والمساعدة ، عملاً بالاية : « وعاشروهن بالمعروف »(٣) .

وبهذا المعنى ايضاً قال النبي العربي (ص) ، بهذه العبارات العذبة : « ما اكرم النساء الا كريم وما اهانهن الا لئيم . . . خيركم خيركم لنسائه وبناته . . . استوصوا بالنساء خيراً »(٤) .

السلطة الزوجية من ناحية مال الزوجة

منذ الشريعة الرومانية الى وقت غير بعيد في معظم الشرائع الاوروبية ، كانت المرأة بوجه عام لا تملك اهلية التصرف في مالها او اهلية التعاقد الا باذن زوجها . وقد بقيت حالتها كذلك في انكلترا مثلا حتى اواخر القرن الماضي(٥) ، وبقيت في



(١) سورة النساء (٤) ٣٤ . انظر تفسير المنار للشيخ محمد عبده ، ج ٥ ص ٦٨ .

(٢) سورة الروم (٣٠) ٢١ . (٣) سورة النساء (٤) ١٩ . (٤) الجامع الصغير للسيوطي ، رقم ٤١٠٢ و ٤١٠٨ و ١٠١٢ . (٥) بصدور قوانين اموال المتزوجات لسنة ١٨٧٠ و ١٨٨٢ .
Married Women's Property Acts, 1870 & 1882.

فرنسا حتى قانون ١٨ شباط سنة ١٩٣٨ .

والى جانب هذه المعاملة القاسية ، كانت المرأة المسلمة تتمتع شرعاً باهلية تامة دون ان ينتقص الزواج منها شيئاً . فباستثناء ائمة المذهب المالكي، قال جمهور فقهاء المذاهب جميعاً بان المرأة الرشيدة تملك مالها بالاستقلال ، ويحق لها فيه ما يحق للرجل في ماله من حق التصرف والتعاقد ، سواء أكانت متزوجة ام لم تكن ، لان الزوج ليست له ولاية على اموالها ، ولان الانوثة بحد ذاتها لم تكن سبباً للحجر عند جمهور الفقهاء .

وان هذه المساواة بين الرجل والمرأة تستند الى ان نصوص الشرع لم تفرق بينهما في هذا الامر مطلقاً(٦) .

انحلال الزواج

ينحل عقد الزواج في الشرع الاسلامي باسباب عديدة، تسمى فرق النكاح . منها فسخ الزواج لاسباب معينة لا نرى مجالاً لتفصيلها . ومنها ايضاً الطلاق والتفريق القضائي بسبب النزاع والشقاق .

فالطلاق يملكه الزوج ، ولكن استعماله مقيد ديانة بسبب يبيحه ويبرره ، والا كان دليلاً على الحمق وعلى كفران نعمة الزواج المبني على المودة والرحمة(٧) . فلذا جاء في الحديث الشريف : « ابغض الحلال الى الله الطلاق »(٨) .

والى جانب هذا القيد الديني ، يوجد قيد فعلي لحرية الطلاق . وهو القيد الناتج عن الشرط المتبع عادة في عقود الزواج ، والذي يوجب عند انحلاله دفع المهر المؤجل المتفق عليه .

وفوق ذلك ، للمرأة ان تطلق نفسها اذا هي اشترطت ذلك في عقد الزواج ، او اذا فوّضه الزوج لها فيما بعد . ويكون ذلك عند جمهور الفقهاء بما يسمونه في الاصطلاح تخيير المرأة نفسها او جعل امرها بيدها(٩) . فاذن، اجاز الشرع المرأة ان تحافظ على مساواتها بالرجل من هذه الناحية، وان تشترط في عقد الزواج ما يجوز لقرينها من حق الطلاق .

وكذلك اقر الشرع الاسلامي التفريق القضائي بطلب احد الزوجين عند حصول النزاع والشقاق بينهما . فقد جاء في الاية الكريمة : « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من اهله وحكماً من اهلها ان يريدا اصلاحاً يوفق الله بينهما »(١٠) .

فاذا وقع الخصام والشقاق بين الزوجين ورفع احدهما الامر الى القاضي، كان لهذا ان يعين حكمين لاصلاح ذات البين والتقريب بينهما . فان لم يتوفق الحكمان ، كان لهما ان يفرقا بين الزوجين بشرط تفويضهما بذلك من قبل الزوجين عند الحنفيين وفي احد قولي الامامين الشافعي وابن حنبل ، ولهما حق التفريق بدون هذا الشرط في مطلق الاحوال عند الامامين مالك والاوزاعي وفي القول الاخر من المذهبين الشافعي والحنبلي .

وبهذا الرأي الثاني اخذ قانون العائلة العثماني ، المعمول به في المحاكم السنية في لبنان(١١) .

ولا ريب في ان الطلاق والتفريق ، اذا استعملا في الغاية الشرعية التي جوزا لاجلها ديانة، ضروريان من الناحية الاجتماعية لاجل وضع حد للاحوال الشاذة التي تكدر صفو العلاقات الزوجية، والتي لا يمكن فيها اقامة المودة والرحمة اللتين يجب ان يبنى عليهما الزواج الحقيقي السعيد وهذا هو السبب الذي جعل كثيراً من القوانين المدنية العصرية تقر الطلاق القضائي برغم تحريمه عند بعض الطوائف المسيحية الشقيقة .

الدكتور صبحي المحمصاني

وفي الواقع ، ان حوادث الطلاق عند المسلمين السنيين في لبنان اقل بكثير منها في بعض البلاد الغربية كبعض الولايات المتحدة الاميركية مثلاً ، حيث تحكم المحاكم بالطلاق والتفرقة لاسباب تكاد تكون تافهة(١٢) .

حق الارث

في الشريعة الفرنسية، ليس للزوجة التي توفي زوجها وترك قريباً

---

(٦) انظر كتاب الام (ج ٣ ص ١٩٢ – ١٩٥) ، والمدونة الكبرى (ج ١٣ ص ٧٢ و ١٣٣ – ١٣٧) ، وشرح الاحوال الشخصية للابياني (ج ١ ص ٢٨٢) ، والمغني (ج ٤ ص ٥١٨) .

(٧) رد المحتار على الدر المختار ، ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٨) حديث صحيح رواه ابو داود السجستاني وابن ماجه في سننهما ، والحاكم في المستدرك . انظر الجامع الصغير للسيوطي ، رقم ٥٣ .

(٩) انظر المادة ٢٦٠ من قانون الاحوال الشخصية ، وكتاب المغني (ج ٨ ص ٢٩٣ وما بعدها) ، والمبسوط (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١٠) سورة النساء (٤) ٣٥ .

(١١) انظر المادة ١٣٠ منه ، والاسباب الموجبة المتعلقة بها ، والمادة ٢١٠ من قانون الاحوال الشخصية المصري ، والمغني (ج ٨ ص ١٦٧ – ١٦٨) ، والمدونة الكبرى (ج ٥ ص ٤٩ – ٥٠) .

(١٢) انظر بعض الامثلة الحديثة الطريفة منها ، في مجلة تايم ، العدد ١٦ ، المؤرخ في ١٥ تشرين الاول سنة ١٩٦٥ .

وارثاً مهما كانت درجته، الا حق الانتفاع مدى حياتها بقسم من تركة الزوج دون ان تتملك منها شيئاً. وهذا الحق يقع على ربع التركة عند وجود ولد او اكثر، وعلى النصف عند عدم الاولاد[١٣].

ولكن الزوجة في الشريعة الاسلامية احسن حظاً من اختها الفرنسية في هذه المسألة. فالمسلمة ترث ثمن تركة زوجها اذا ترك ولداً، وترث الربع اذا مات بلا ولد، وتنبغي الاشارة الى ان هذا النصيب هو ملك صرف لها، لا حق انتفاع فحسب.

ويكون الارث بين الاولاد على قاعدة المساواة بين الجنسين في الاراضي الاميرية[١٤]. اما في باقي الاموال، فللذكر في الاصل مثل حظ الانثيين. ولكن هذا التفريق لم يأت بلا مستثنيات. ففي ارث ذوي الارحام مثلاً، توجد احوال ترث البنت فيها اكثر من الصبي.

ولا بد من الملاحظة اخيراً ان عدم المساواة بين الجنسين في الاحوال التي يطبق فيها هو اقل غبناً من الحرمان التام الذي يصيب البنات في البلاد الخاضعة لقاعدة «حق البكر»[١٥]، كما كان الامر في فرنسا قبل الثورة وفي انكلترا قبل الغاء هذه القاعدة عام ١٩٢٥ بقانون ادارة التركات[١٦].

واجب النفقة

في جميع الشرائع، ومنها الشرع الاسلامي، يتوجب على الرجل ان ينفق على زوجه وان يؤمن لها كل ما تحتاج اليه من طعام ولباس ولوازم ضرورية حسب كفايتها بالمعروف.

ولكن العكس لم يقره جمهور الفقهاء المسلمين. فعند هؤلاء، خلافاً للمذهب الظاهري الذي انفرد بمخالفتهم في هذه المسألة، لا تجب على الزوجة نفقة زوجها المعسر[١٧].

فههنا جاء عدم المساواة لمصلحة المرأة. وربما كان ذلك من اسباب امتياز الصبي على البنت في الارث في بعض الاحيان.

تعدد الزوجات

من المعلوم ان عادات العرب في الجاهلية جوزت تعدد الزوجات بدون شرط ولا قيد. ولما اتى الاسلام حدد ذلك، بان منع ان يزيد عدد النساء على الاربع، وقيده بشرط العدل، بالآية الكريمة: «فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ...»[١٨].

ولا شك في ان العدل ههنا فسره جمهور الفقهاء بانه المساواة في القسمة والنفقة والتعهد والمؤانسة والنظر، وقالوا بانه غير العدل الذي جاء في الآية «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم»[١٩]، والذي فسروه بانه المساواة في المحبة وميل الطباع، وهو طبعاً غير مستطاع. ولقد كان من الفقهاء من قال بان العدل في الاية الثانية معناه التسوية في الاقوال والافعال ايضاً[٢٠].

ومهما يكن من امر ومن تفسير، فالخلاصة التي ينبغي استخلاصها هي ان روح الشريعة الاسلامية في مسألة تعدد الزوجات لم تكن اباحية مطلقة، بل كانت تقييدية ضيقت اباحة تعدد الزوجات التي كانت بدون قيد ولا شرط عند عرب الجاهلية. فهي اذا لم ترغب في ذلك ترغيباً، بل حذرت منه تحذيراً، وشرطت شروطاً تكاد تكون ممتنعة، حتى ان كثرة الفقهاء افتوا بان الافضل والاحوط الاقتصار على زوجة واحدة وان الزيادة على الواحدة مكروهة[٢١].

وكذلك يجوز المرأة ان تشترط على زوجها في العقد ان لا يتزوج عليها. ويجب في ذلك عند الامام مالك ان يكون هذا الشرط معززاً بيمين الزوج[٢٢]. وفوق ذلك، وعملاً بقاعدة

(١٣) انظر المادة ٧٦٧ من القانون المدني، المعدلة بقانون ٩ اذار سنة ١٨٩١.

(١٤) المادة الثانية من قانون ٢٢ ربيع الاول سنة ١٣٣١ هـ، و٢١ شباط سنة ١٣٢٨ مالية.

(١٥) Primogeniture

(١٦) The Administration of Estates Act, 1925

(١٧) انظر فلسفة التشريع في الاسلام، لصاحب هذا المقال، بيروت، ١٩٤٦، ص ٥٧.

(١٨) سورة النساء ٤ ك ٣.

(١٩) ذات السورة، ١٢٩.

(٢٠) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣ ص ٣٢٦، وتفسير الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٣٠٢، ومجمع الانهر ج ١ ص ٣٧٣، والمبسوط ج ٥ ص ٢١٧.

(٢١) الاسلام روح المدنية للمرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني، الطبعة الرابعة، ص ١٨٥.

(٢٢) الام ج ٥ ص ٦٦، والقوانين الفقهية لابن جزي ص ٢١٩.

« المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً »(٢٣) ، اذا تزوج رجل امرأة « من قوم لم تجر العادة بالتزوج على نسائهم كان بمنزلة شرط ان لا يتزوج على امرأته »(٢٤) .

وفي الواقع، ان حوادث تعدد الزوجات نادرة جداً ، بل تكاد تكون مفقودة عند اهل السنة في لبنان اليوم . وهي ، ان وجدت، فان وجودها يكون في غالب الاحيان لدواع ماسة وهي على كل اقل انتشاراً من حوادث المخادنة غير المشروعة التي نراها شائعة في بعض البلاد الغربية . ومن المستغرب ان نرى هذه المخادنة مألوفة في بعض الطبقات ، حتى ان احدى المحاكم في فرنسا حكمت باعتبارها ليست من مساوىء السلوك بحيث تكفي لعزل الوصي عن وصايته(٢٥) .

الولاية على الاولاد وحقوق الامومة

في جميع الشرائع ، يمارس الاب رئاسة العائلة وهو بهذه الصفة يملك الولاية على نفس اولاده وعلى اموالهم . فلذا لا غرو من ان نجد الشريعة الاسلامية تقر هذه القاعدة ايضاً .

انما هذه الشريعة تمتاز من باقي الشرائع بحق الحضانة الذي اختصت به الام، والذي يصور صفة هذه الشريعة الانسانية العملية، وحرصها على مصلحة الاولاد الذين يحتاجون الى خدمة النساء وعطفهن وعنايتهن . ففي القول الحنفي المختار يبقى الولد في حضانة امه الى سن السابعة ان كان غلاماً والى التاسعة ان كان بنتاً(٢٦) ، وذلك ولو بعد انحلال الزواج . ولا تسقط الحضانة الا بزواج الام من اجنبي او بثبوت فجورها(٢٧) .

واذا لم تكن الولاية للام بوجود الاب ، فانها تمارسها عند عدمه في كثير من الاحيان . فالولاية على نفس اولادها تكون لها ولقرابتها عند عدم الاولياء العصبة . وولايتها تقدم عند الحنفيين

(٢٣) المادة ٤٣ من مجلة الاحكام العدلية .

(٢٤) عن الاقناع ، كما نقله المرحوم الغلاييني في كتابه المذكور ، ص ١٨٦ .

(٢٥) محكمة دويه (Douai) في حكمها الصادر في ١١ نيسان سنة ١٩٣٨ ، المنشور في مجلة سيراي لسنة ١٩٣٨ ، القسم الثاني ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

(٢٦) شرح الزيلعي على الكنز ج ٣ ص ٤٨ ، وجامع احكام الصغار بهامش جامع الفصولين ج ١ ص ١٠١ .

(٢٧) البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم ج ٤ ص ١٦٧ ، ورد المحتار ج ٢ ص ٨٧٢ .

على ولاية القاضي . ثم في الولاية على اموال الاولاد ، ليس ما يمنع الاب من ان يختار زوجه وصياً بعد وفاته ، وكذلك ليس ما يمنع القاضي ، اذا ما آلت اليه الولاية بسبب عدم الوصي المختار او وصي الوصي او الجد الصحيح او وصيه او وصي وصيه ، ليس ما يمنعه في مثل هذه الحال من ان ينصب الام وصياً على اموال اولادها . وليست الام بهذه الصفة محجورة عن قبول هذه المهمة . وهي في الواقع كثيراً ما تمارسها(٢٨) .

وقد عظم القرآن الكريم مكانة الام الاجتماعية ، فوضعها في مصاف الرجل من حيث واجب احترامها وواجب برّهما والانفاق عليها من قبل الاولاد . فجاء فيه : « ووصينا الانسان بوالديه احساناً حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً ... »(٢٩) . « وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احساناً ، اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً »(٣٠) .

وقد قال النبي العربي (ص) ، في تعظيم شأن الام وقدرها : « الجنة تحت اقدام الامهات »(٣١) . وقال ، جواباً على من سأله عمن يبر من اهله : « امك، ثم امك ، ثم امك ، ثم اباك ، ثم الاقرب فالاقرب »(٣٢) .

*

فعلى الجملة ، نحن نستبين مما تقدم بوجه عام ان مكانة المرأة في الاسلام لم تكن اقل منها في الشرائع الحديثة . بل ان المرأة المسلمة كانت احسن حظاً من المرأة الغربية من بعض النواحي ، لا سيما من نواحي اهلية التعاقد ، وحق ارث الزوجة ، وحق الحضانة، وفي مسألة النفقات .

صبحي المحمصاني

(٢٨) انظر المادة ٩٧٤ من المجلة، والمواد ٣٥ – ٣٧ و ٤٣٦ من قانون الاحوال الشخصية .

(٢٩) سورة الاحقاف ٤٦ ١٥ .

(٣٠) سورة الاسراء ١٧ ٢٣ – ٢٤ .

(٣١) حديث حسن رواه الخطيب في الجامع عن انس ، ونقله السيوطي في الجامع الصغير ، رقم ٣٦٤٢ .

(٣٢) روي في مسند احمد وفي سنن الترمذي وابي داود وابن ماجه ، وفي مستدرك الحاكم . انظر سنن ابي داود ج ٤ رقم ٥١٣٩ ، والجامع الصغير رقم ١٦٥٠ .

صادجة





بقلم سليم بطي

*

شرب القهوة برشفة واحدة وتلمظ . واخـذ يملأ غليونه من كيس صغير بين يديه والجمع من حوله ينتظرون قصته بفارغ الصبر . فتكلم وهو يمد يده الى كومة النار امامه ليأخذ له عوداً يولع به غليونه .

.. الصبر اذا ما حل القضاء والقدر . فقد سيدي كل شيء في تلك الليلة . ليلة الانتقام الهائلة . فقد قبيلته ، املاكه ووطنه الذي بقي يحن اليه الى ان لفظ نفسه الاخير .

هربنا في تلك الليلة الدموية لننجو بانفسنا وهو يحمل طفلته التي لم تكمل السنة من عمرها وانا وراءه احمل ما خف حمله وغلا ثمنه . كانت سفرة طويلة وهجرة بعيدة انتهت بالتجائنا الى قبيلة تسكن على شاطيء « الهور » في اكواخ البردى . اعزنا القوم واحترموا سيدي لما عرفوا نسبه . ولم يبق لسيدي في الدنيا سوى ابنته (صادجه) فاصبحت عزاءه الوحيد يفرح لما يراها امامه تنمو سائرة في طريق الصبا يفتخر بحسنها وفتنتها .

كانت المواسم تأتي وتمر وانا احسب عمر (صادجه) ولما عبرت سن الطفولة اطمئن بال سيدي ولم يعد يفكر بشيء . لا بقبيلته ولا بالانتقام من مشرديه حتى ولا باهله واوطانه . فقد وجد سعادته بابنته صادجه ولكنه رغم هنائه وقناعته لم اكن لأرتاح لنمو الفتاة واكتمال انوثتها فقد كانت اذا مشت بين فتيات القرية تبدو كغزال بين قطعان الماشية . وقد اصبح اسمها على كل لسان وفتنتها مضرب الامثال وتغنى بجمالها شباب القبيلة فكنت اخاف عليها كما يخاف الانسان من شرارة لهب تمتد الى اكواخ من القش ..

شاع ان شيخ احدى القبائل المجاورة يطمع بالزواج من (صادجه) فانخلع فؤادي رغم انه كان رجلاً شجاعاً وجميلاً ومهوباً ومحبوباً من الجميع الا انه لا يجاري نبل سيدي ونسبه . وفي احدى الليالي ورجال القرية مجتمعون في كوخ سيدي سمع ازيز رصاصة في سكون الليل اعقبه صوت ينادي :

— من هناك ... ؟ أأصدقاء انتم ؟

فاجابه صوت من « الهور »

— انا دهام

فصاح واحد من رؤساء القبيلة .

— حذار . ان بنادقنا محشوة . ما حاجتك ؟

فاجاب دهام . — جئت اطلب يد فتاة من والدها .

فصاح آخر — ومن تكون ؟

فأجاب دهام — الجوهرة المطمورة في الاوساخ . زهرة واحدة في اشواككم

فتهامس رجال القرية بينهم

— جاء يطلب صادجة .

وسرى الخبر سريان النار في الهشيم وبقي سيدي في مكانه لا يتحرك كقطعة من

الخشب . واخيراً التفت الى رجل بجواره وتناول منه بندقيته وصوبها نحو مصدر الصوت واطلقها فدوى على الاثر صراخ قوي اعقبه سكون عميق ووصل الينا نسيم الليل الهادى. يحمل حفيف اعشاب البردى اعقبه صوت دهام يدوي كالرعد .

– ابن عمي رحمة الله عليك . سآخذ بثأرك انا ابن عمك دهام. ايها الكلاب . لا اريد فصلا من النساء لانني لا اريد منكم الا امرأة واحدة . رجالي يطوقونكم وسوف لا نبقي لكم اثراً اذا لم تسلموا عند منتصف الليل سبعين قطعة من الذهب فدية ابن عمي .

فراح القوم يتجادلون ويتحاورون بعض الساعة وصاح احدهم بعدئذ :

– موافقون . موافقون . . .

وقاموا من توهم يجمعون الفدية من كل بيت وبعد مدة طويلة صاح احدهم .

– خمسون قطعة لا نملك غيرها

فجاء صوت دهام كالهدير :

– سبعون او نطلق النار

فصاح آخر

– تعال وفتش

فأجاب دهام

– حسنا . ليحملها الي احدكم .

فانساب قارب اليهم ولما رجع صرخ دهام



– ادفنوا ابن عمي دفناً يليق بمقامه اذا ما عثرتم عليه وسأرجع في طلب صادجة .

انبثق الفجر واجتمع القوم يتحدثون عن الليلة المشؤومة والكل يلعن سيدي وصادجة . وجاء رؤساؤهم يطلبون منا الرحيل قبل ان تحل بهم مصيبة اعظم فاجابهم سيدي غاضباً .

– لا اخشى ان اكلم قوماً جبناء مثلكم انني لم اطلب حمايتكم عندما حللت دياركم بل سكنت بعيداً عنكم ولكنكم تقربتم مني لتستفيدوا من خبرتي ، وتفاخروا القبائل الاخرى باستيطان شيخ من قريش بين ظهرانيكم . ولما اصبحت بحاجة الى المعونة اخذتم تتملصون منها . انتم كلاب اولاد كلاب . فانا لا احتاج الى حمايتكم . الموت ولا فقدان الشرف . سأبقى في مكاني ولا اتحرك عنه شبراً واحداً اذا كان بقائي لا يحلو لكم ارحلوا انتم من هذه الديار فارض الله واسعة . فاجاب اكبرهم سناً :

– ما هذه الاهانة ؟ اذا ما نضجت الفاكهة وجب قطفها واذا ما رشدت الفتاة وجب تزويجها . لماذا تعصي امر الله وسنة الرسول . وتجلب لنفسك ولنا الدمار . زوجها من احد رجالنا أليس كلامي هذا مصيباً .

فصرخ سيدي ثائراً :

– ازوج ابنتي من احد رجالكم ، ابداً

فخرج الكل وسمعت بعضهم يقول :

– لتقع المصيبة على رأسه وحده . ودعاني اليه وقال :

– اننا لم ندفع حصتنا من الفدية ولا اريد ان يقولوا عني انني فقير لا اتمكن من دفع حصتي ، استعر قارب جارنا لنذهب ونبيع حصراننا ونعتق ذمتنا .

حملنا الحصران الى القارب وسرنا ووجهتنا احدى القرى لبيعها وكانت صادجة في المؤخرة تدير دفة القارب وابوها امامها صامتاً كأن على رأسه الطير . ان اللسان ليعجز عن وصف جمال صادجة وهي في وضعها هذا وبقيت اتمتع بذلك الجمال الملائكي ، بذلك القد الذي كان ينثني وهو يحرك المجذاف كأنه الغصن لما يميل تحت تأثير النسيم وبالشعر الفاحم المسترسل على كتفيها بضفائر ثخينة متدلية من تحت طرحتها وبتلك العينين السوداوين اللتين يشع منها النور كأنها سهام فتاكة .

وصلنا الى قناة ارتفعت اوراق البردى على جانبيها وسمعنا

حركة وراء الاوراق فتكلم سيدي آمراً

– ارجع الى القرية

فتملكتنا الدهشة انا وصادحة . لماذا يخف الى هـذا الحد فتكلمت صادحة وقد توردت وجنتيها .

– لا نرجع يا ابي قبل ان تنتهي المهمة التي جئنا من اجلها لمَ هذا الخوف ونحن مسلحون . فلم يأبه والدها بكلامها وصرخ فيّ قائلا .

– الم آمرك بالرجوع يا ابن الكلاب لعنة الله عليك اتجسر ان تعارضني وانا سيدك .

وادرت القارب بحركة سريعة من مجذافي وبقي مجـذاف صادحة غاطساً في الماء مخذولا . ولما التقى نظري بنظر سـيدي شعرت بقشعريرة تسري في جسدي لانني شهدت الذل يعلو جبينه في تلك اللحظة وظهر لي انه قد تقدم في السن دهراً فقـد تقوس ظهره وغارت عيناه وشاعت الكآبة في وجهه .

وصلنا القرية وتركتنا صادحة وقصدت الكوخ دون ان تكلمنا وبقي والدها ينظر اليّ بحزن وهو جالس في مكانـه لا يتحرك واخيراً تكلم قائلا .

– ألم تلاحظ ؟

فأجبت مندهشاً

– كلا لم اسمع الا حركة وراء اوراق البردى

فأجاب بصوت متهدج

– لم اسألك عما سمعت الم تر شيئاً ؟

فأجبت وقد زادت دهشتي .

– كلا يا سيدي

فندم وهو يترك القارب

– الويل والثبور لي ولابنتي .

فاخذت الحصران لارجعها الى الكوخ دون ان اتفوه بكلمة فالتفت الي وافهمني باننا راجعون غداً عند الفجر لبيعها وسينتهي كل شيء . ومشى . ولما اقتربت من الكوخ كان كل شيء هادئاً ولم اسمع حركة حتى وراء مخدع صادحة وكان الشيخ جالساً . فاشعلت النار لاجهز له القهوة واخذت انظر اليه على ضوئه فجمد الدم في عروقي وشعرت بقلبي ينخلع من مكانه . وجدته يبكي والدموع تنحدر على خديه وتختفي بالتجعدات التي ظهرت في وجهه .



فسمرت بصري في وجهه وكتمت بعد لحظة صرخة كادت تفلت من حنجرتي .

– يا لله لقد فقد سيدي بصره

انقضت الليلة ودنا الفجر . ورجعنا بالقارب من حيث سرنا في اليوم الفائت وبعد سير ساعة اشار الي قائلا :

– سر يساراً الى جزيرة (ام الفروخ)

تجهم وجه صادحة الوادي ولكنها لم تتكلم اذ فكرت ان والدها يطيل الطريق خشية ان نلتقي بدهام . كان القارب يسير ببطء ولم يكن سيدي يطالب بالاسراع فشعرت ان قضية بيع الحصران ما هي الا لعبة تخفي وراءهـا امراً مخيفاً . وكانت الحصران وهي في قاع القارب تظهر لي كجثة وحفيف البردى اصوات النائحات .

اعلنت وصولنا (ام الفروخ) وهي جزيرة منعزلة فنزل الشيخ الى البر يقود صادحة وقال لي دون ان يلتفت :

– لا تترك مكانك الى ان اعود اليك .

ومشى هو وابنته يداً بيد وغابا عن نظري وكان الهواء في ذلك اليوم جامداً قد كتم انفاسه خائفاً من النتيجة . وبعد مدة طويلة حمل الي نسيم خفيف حديثهما وكنت اسمعه بوضوح .

فانكشف لي سر مجيئنا الى هذه الجزيرة فأحنيت رأسي الى مشيئة الله .

سألته وفي صوتها رعب شديد .

— ما هذه الاطوار يا والدي ولما هذا الوجوم والاطراق لماذا جئت الى هذه الجزيرة المخيفة المأوة قبوراً .

فاجابها بصوت اجش .

— جرمك يجعلك خائفة . اذا دنست امرأة شرف اهلها فما هو جزاؤها في عرف الاجداد ؟ اليس هو الموت .

فصرخت فزعة باكية .

— لا تقل ذلك يا والدي .

فأكمل :

— واذا اشتهت امرأة منا زوجاً ليس من دمها واقل نبلا ونسباً من نسبها الا تدنس شرف قبيلتها ؟

فاجابت ببرارة :

— هذا ما كنت تلقنني اياه يا والدي .

فقال بصوت مرتجف :

— اذاً عرفت لماذا جئت بك الى هنا .

فصرخت :

— لا . لا . يا والدي لا تقدر ان تقتلني اذ انا كل شيء عندك في هذه الدنيا . لا تقدر ان تعيش بدوني . الست ابنتك ؟ الست من دمك ؟

فلم يحر جواباً . فأكملت :

— الا لعنة الله على النسوة اللواتي سممن افكارك . وذهبن بحكمتك . فكر في حزنك القاتل بعد ان اموت . ما هي الحالة التي ستصبح بها لما تتحقق براءتي ؟

فصرخ كالاسد الجريح :

— لا يمكن ان يؤثر علي انسان . كيف اكذب عيني ؟ الا اذا كنت اعمى . كما انا الان . فصرخت صادحة فزعة :

— انت اعمى الان ؟ مسكين يا والدي .

فاجاب الشيخ باكياً :

— نعم اعمى الان . ولكن قبل ان يذهب آخر بصيص من عيني عرفت البرهان القاطع . لما سمعت الاصوات وراء البردى كانت عيناي في عينيك فوجدت بها الحقيقة الناصعة . نور الحب .

فصرخت :

— انه ادعاء فارغ . انك كنت دائماً تحب نور عيني وصفاءهما وهذا البريق كان نور الشمس .

فاجاب الشيخ بصوت مخنوق بالعبرات .

— كنت اتمنى ان اكون مخدوعاً ولكن كيف ، وقد شهدت عيون زوجاتي الكثيرات . لا ينجيك الان الا الموت

فاجابته متوسلة

— اعف عني يا والدي اعف عني ! ! !

ودوت صرخة قوية مزقت سكون الجزيرة

— ابي . . . ابي . . . الي يا دهام يا حبيبي

انقلب دمي في تلك اللحظة الى ماء وجمد في عروقي وشعرت بكابوس يهد بدني فهربت لا الوي على شيء ورجعت الى القرية .

رجعت في اليوم الثاني مع بعض الرجال . ولم نكد نصل الجزيرة حتى طلع علينا شيخ جاحظ العينين عاري الجسم ملطخ بالدم والوحل . . هو دهام وصرخ بنا

— ارجعوا كلكم . . . انا وحدي ادفن موتاي .

بغداد　　سليم بطي

من فنون الصناعات الزراعية عند الاقدمين

بقلم نور الدين بيهم

امين المخطوطات بدار الكتب اللبنانية

★

قمر الدين

المشمش من اهم فاكهة الشام واغزرها ، ومنها يحمل الى كثير من البلاد ، ومنه انواع ، عد منها البدري في القرن التاسع للهجرة واحداً وعشرين صنفاً في كتابه نزهة الانام في محاسن الشام[1] .

ومن عصير المشمش ، خصوصاً الكلابي ، يتخذ قمر الدين . ذكره البدري في جملة القافات التي كانت ترتفع من دمشق الى الديار المصرية[2] وهو يبسط في الشمس فاذا خمر وذهب ماؤه يقلع وتجيء منه صفائح رقيقة كصحائف الورق تطوى وتلف ولذلك يقال للواحدة منها من وزن معلوم « افة » في اصطلاح التجار . وقد انفرد اهل دمشق بهذه الصنعة .

وفي انطاكية وفي اصفهان نوع من انواع المشمش يسمونه قمر الدين ونواه ينكسر عن لوز حلو[3] والارجح انه سمي كذلك باسم غارسه ومحدثه وكان لقب قمر الدين من الالقاب المعروفة كشمس الدين ونجم الدين وشهاب الدين ولعله لم يبطل في الشام الا لضعته وامتهانه بنسبة هذا العصير اليه[4] . والمشمش الوزري اليوم هو الوزيري بالامس وكلاهما نسبة الى الوزير والوزارة وكان يقال للوزارة في دولة المماليك الوَزَر وقد استعملها غير واحد من المؤرخين والكتاب[5] .

يوسف افندي

للمستشرق الكبير والعالم الزراعي العالمي ارون ارنسون ابحاث قيمة فيما يختص بزراعة هذه البلاد . وهذا العلامة هو مكتشف القمح البري وقد اكتشفه على ما نذكر في جبال الكرمل في فلسطين قبل عشرات السنين .

واما يوسف افندي وهو نوع من انواع الليمون فيقول العلامة ان عزيز مصر محمد علي ارسل بعثة زراعية الى قبرص لدرس العلوم الزراعية . فاتى احد اعضاء هذه البعثة المسمى بيوسف افندي بشتل من هذا الليمون وادخله مصر فسمي هذا الليمون منذ ذلك الحين بليمون يوسف افندي على اسم جالبه[6] .

الصلصة[7]

طلب الملك الكامل من رشيد الدين ابي حلقة ان يركب له صلصا يأكل به الطعام في الاسفار واقترح عليه ان يكون مقوياً للمعدة فركب له صلصا وابان تركيب اجزائها وقال : ثم يرفع مقدار هذه الصلصا في مسللات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدم على المائدة لانها اذا نقصت تكرجت .

ثم تختم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع فقال الملك الكامل لابي حلقة الطبيب هذا الصلص هل يدوم مدة طويلة فقال لا فقال ما يقيم شهراً فقال له نعم اذا عمل على هذه الصورة التي ذكرتها .

فقال تعمل لي منه راتباً في كل شهر منه ما يكفيني في مدة ذلك الشهر وتسيره لي في رأس كل هلال (وكان مسافراً الى بلاد الروم) فلم يزل الحكيم المذكور يجدد ذلك الصلص في كل شهر ويسيره الى بلاد الروم والملك يلازم استعماله في الطريق ويثني عليه ثناء كثيرا[8] .

حفظ الزيتون ثلاثين سنة

والزيتون معروف من اقدم عصور التاريخ واستخراج زيته

---

(١) نزهة الانام في محاسن الشام ص١٨٧ . (٢) نزهة الانام ص٢٦٤ مشرق ٣٥ : ٣٦٧ . ٣ رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١١٩ .

(٤) حبيب زيات بمجلة المشرق مجلد ٣٥ ص ٣٦٨ .

(٥) راجع النجوم الزاهرة لابن تغري بردي فانه يذكرها في كثير من صفحات كتابه .

(٦) من حديث للعلامة ارنسون لنا سنة ١٩١٣ شهر اكتوبر .

(٧) كلمة استعملها موفق الدين ابو العباس الخزرجي صاحب طبقات الاطباء المتوفى سنة ٦٦٨ ﻫ .

(٨) ابن ابي اصيبعة طبقات الاطباء ج ٢ ص ١٢٨ .

دات عليه اثار الاقدمين مما وجد في طيات الارض من المعاصر من مختلف الامم والشعوب والعصور .

اما الغريب فهو قول ابن مفلح(٩) ان زيتون اشبيلية يخزن تحت الارض اكثر من ثلاثين سنة ثم يعتصر فيخرج منه زيت اكثر مما يخرج منه وهو طري(١٠) .

المربيات والمجففات والنقيع

افضل اصناف المشمش واكثرها استعمالا للصناعات الزراعية هو المشمش البلدي .

وهو الذي يربى ويجفف ويحمل الى البلاد باسم النقوع لانه اذا نقع في الماء كان من انفع الفواكه اليابسة واعذبها طعماً واصلحها للمعدة . وللاطباء في هذا النقيع اعتقاد جميل . قال الرازي في الحاوي . اتاني مريض فاطعمته رطب المشمش فشفي ولا احسب انه يوجد شيء اشد منه للتبريد(١١) ومجففات ومربيات الفواكه كثيرة عديدة .

خزانة التوابل

وكان الملوك والامراء والاغنياء والعظماء خزائن للتوابل في قصورهم وهي عبارة عن مستودع فيه جميع مجففات ومعقدات ومربيات الفواكه وفيها من صناعات العطور النباتية والمعجونات المحفوظة لاوان الحاجة سواء اكان لحاجاتهم الخاصة او للحفلات والمواسم والاعياد وهذه كلها من الصناعات الزراعية اما من الفواكه او النباتات (١٢)

خزانة الشراب١٣٥ ١

وكان لهم ايضاً خزائن الشراب وفيها من العمال والمستخدمين والوكلاء الاشخاص العديدون وكان يصرف على هذه الخزائن من الاموال ما لا يصدقه العقل . وكان يوجد في هذه الخزائن من انواع الشراب الشيء الكثير (١٣) . وكان في بيوت بعض الخاصة دور للشراب (١٤)

شراب التفاح

وقد عرف الاقدمون شراب التفاح او عصير التفاح على انه لم يشتهر عندهم ولم يعم استعماله على الرغم من وفرة التفاح في بلاد الشام وفي غوطتها . وبالرغم من رخص اثمانه عندهم .

والظاهر ان اهل العراق كانوا يستعملون هذا العصير ويشربونه بدليل ان شاعراً من شعرائهم اتى على ذكر خمر التفاح او عصيره في شعره ووصفه وكيف انه يوضع في الدن ١٥ وهذه اشارة صريحة الى اختمار عصير التفاح في الدن .

خمر المشمش

في ايام العباسيين كان يتخذ من المشمس نوع من الخمر كالتي تتخذ من التفاح وممن عرف بشربها اسحق بن ابراهيم الموصلي المغني المشهور

وفي رواية لابي الفرج الاصبهاني ان اسحق الموصلي طرب حتى شرب قاطرميزه وفيه من المشمش الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً . ١٦

خبز الارز

كان الخبز اكثر ما يصنع قديماً من الحنطة او الارز او الشعير . وكان خبز الارز قوت الفقراء والبخلاء لرخص اسعاره .

لما مر ابن بطوطة بمدينة واسط نزل في رباط فيها حتى اذا انقضت صلاة العصر ضربت الطبول والدفوف واخذ الفقراء في الرقص ثم صلوا المغرب وقدموا السماط وهو خبز الارز والسمك واللبن والتمر ١٧

دخل فتى البصرة فقال له اصحابه كيف رأيت البصرة . قال : خير بلاد الله للجائع والعزب والمفلس . اما الجائع فيأكل خبز الارز والصحناء (ادام من السمك الصغير المملوح) لا ينفق في الشهر درهمين١٨ ومن الممالك التي غلب فيها خبز الارز طبرستان واكثر طعامهم منه ومن السمك ١٩

نور الدين بيرم

---

(٩) محمد بن مفلح المتوفى ٧٦٣ المعروف بابي عبدالله وصاحب كتاب الفروع والنكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لابن تيمية .

(١٠) نفح الطيب ج ١ ص ٩٧ .

(١١) ابو البقاء البدري الدمشقي محاسن الشام ص ١٨٨ .

(١٢) المواعظ والاعتبار للمقريزي ج ٢ ص ٢٧٣ .

(١٣) ا نهاية الارب في فنون الادب للنويري ج ٨ ص ٢٢٤ .

(١٣) خطط المقريزي ج ٢ ص ٢٧٢ .

(١٤) الاثار الباقية للبيروني ص ٣١ .

(١٥) كتاب بغداد لاحمد بن ابي طيفور ج ٦ ص ٢٠٢ مجلة المشرق جلد ٣٥ ص ٣٢ .

(١٦) الاغاني ج ٩ ص ٦٩ مشرق ٣٥ ص ٣٦٩ .

(١٧) ابن بطوطة مطبعة النيل ج ١ ص ١٠٩ .

(١٨) عيون الاخبار لابن قتيبة ج١ ص ٢٢١ . عن المشرق ٣٥-٣٧٨ .

(١٩) مسالك الممالك للاصطخري ص ٢١٢ .

صورة لم تتم

في فحمة الليل العميق كانت هناك غرفة ضيقة كقلب الشاعر مليئة بخيالات تهمس بالذكرى في اذن الصمت ،

وعلى زجاج النافذة الواسعة انطبع ظل شبح كئيب ساكن كآهة احتبست في فم عاشق غرير .

وارتفعت عن النافذة ستائر كانت تحاكي سكون الليل وكأنها هي ايضاً كانت تتذكر تلك التي طالما لامس شعرها البراق الناعم اطراف نسيجها الخشن . . . كل شيء في هذه الغرفة المنسية يتذكر وينادي فيعيد لذلك الفتى الحزين صدى اغنية حلوة طالما رددتها الايام .

وتلاشت على الشفتين الذابلتين شكوى حيرى .

والضوء الازرق الباهت يلقي على الجبين المسكين وشاحاً من نور، ووراء النور ظله على النافذة المفتوحة كراهب يناجي السماء . .

وفي الخارج، امام النافذة المفتوحة، انحنت شجرة التين الصغيرة تهمس في اذن الجدول الصامت :

— ما باله لا يني يحملق في حنايا ماضيه ؟

واطال الجدول الصمت واستكان الى ذكرياته الماضية ، ذكرى ايام كانت تدغدغ فيها مياهه الهادئة قدمان صغيرتان وتتماوج فوق مياهه صدى ضحكة ناعمة كانت تسعد هذا الفتى حتى الالم . .

وسأل الجدول الحزين :

— وماذا ترين ايتها الشجرة الحبيبة ؟ ماذا ترين ؟

— ارى خيطاً من دخان

— وبعد ؟

— صورة فتاة امامه لم تتم . . .

— وماذا ؟

الوان وفرش نام عليها التراب .

— وماذا ؟ عجلي ، عجلي ،

ومدت شجرة التين اغصانها الى فوق واشرأبت كطفل يريد ان يرى ما وضعته امه فوق المنضدة ، ثم قالت وهي تنحني لتسري الى الجدول المتلهف :

— ارى وردة حمراء ذابلة .   — وماذا ؟

الا ان شجرة التين لم تجب بل صمتت واحس الجدول بجذورها وهي تتقلص من الالم فتمزق التربة الرطبة . . .

ولم يجد الجدول في نفسه الجرأة الى ان يسأل فاصطفقت مياهه وهب من بعيد اعصار راح يمزق اوراق التين .

وتمالك الجدول نفسه فسأل بخفوت أليم :

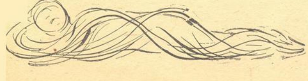
— مالك ايتها الحبيبة ماذا جرى ؟

فأنت الشجرة الكئيبة :   — لم اعد أراه . . .

هذا ما حدثتني به شجرة التين ، وهذا ما قصه عليّ الجدول الحزين عندما ذهبت اسألهما في الصباح كيف مات صديقي الرسام .

اما القصة فانك تعرفها

بغداد   نزار الحاج سليم



للنجاح ضريبة

بقلم تشاننك بولوك • ترجمة محسن مهدي

« الرغبة لا تعوض عن العمل المضني اذا اردت الوصول الى هدف ما »

●

انزيت منذ لحظة مقابلة لي مع طبيب ناجح في عمله يريد قفل عيادته ليصبح مؤلفاً، و كان الدكتور «سمث»، وهذا اسمه، قد ارسل قبل ان اقابله رسالة يخبرني فيها انه وقع في مشكلة عويصة وانه يرغب في استشارتي بشأنها.

ولم اقابل في حياتي كلها طبيباً قبل الان ولكني صممت على المجازفة بساعة من وقتي عسى ان اتمكن من مساعدته، فوجدته في الاربعين من عمره، ذكيا، حسن الهيئة، اشتغل في مهنة الطب اكثر من عشر سنين في مدينة « نيوجرسي » الصغيرة. و كان ربحه يزداد ببطء. ولكن باستمرار و كان قد بلغ في هذا الوقت نحو خمسة آلاف دولار في السنة، لم يدخر منها شيئاً فقد كان صاحب اسرة مكونة من اربعة اشخاص. و كان يعتقد انه قادر على الكتابة ويريد ان يجرب ذلك، فقلت له مشجعاً: «لا أرى مانعاً، ولكن لماذا لا تحاول ان تكتب وانت تحتفظ بعملك.» فأجاب سمث: « ان عملي دقيق ومنهك يشغلني طول النهار وأمسي متعباً لا قدرة لي على التفكير، ومهما يكن من أمر فأنا اشك في ان بامكان الرجل ان يخدم سيدين معاً.» فذكرته بطبيبين استمرا يشتغلان في مهنتها والفا مع ذلك عدة كتب مشهورة ثم سألته: وما ادراك انك تجيد الكتابة؟ وان بوسعك ان تعيش مما تربحه منها؟

و كان زاتري قد كتب عدة قصص قرأ اصدقاؤه مخطوطاتها وأعجبوا بها، ولم يكن بامكان احد ان يعرف عما اذا كان زاتري قادراً على ان يعيش من التأليف حتى يجري هو ذلك. لقد رفض الناشرون كل ما ارسله لهم من المخطوطات، ولكن لعل السبب في ذلك انه لا يمكن لاحد، او لم يتمكن زاتري على الاقل، ان يكون طبيباً وقصصياً في وقت واحد.

وصفت لزاتري باخلاص التمرين الطويل المضني الذي قام به معظم المؤلفين قبل ان يتمكنوا من الظهور في عالم النشر وقلت له: « وحتى بعد ذلك لا اظن ان اكثر من مئة منهم يربحون من الكتابة ما تربحه انت من مهنتك الحاضرة، ان كل فرد منا يعتقد انه يجيد الكتابة ولكن ليس هناك من يعلم انه قد اجادها الا اذا دفع الناس ثمن ما يكتب، ولو كنت انت وحدك في هذا العالم لقلت ان لك الحق في ان تجرب حظك مهما كان الامل في نجاحك ضئيلا، ولكن لا تنسى ان لك زوجاً واطفالاً وبعد كل هذا، فانني اخشى ان رجلًا مثلك، لا يملك دافعاً قوياً يوجه تفكيره ويحثه على الكتابة في مثل ظروفك الحالية، يستطيع ان يكتب في اي ظرف آخر » فتقطب جبين الدكتور وقام حانقاً وهو يقول: « ترى من تكون انت الان لو لم تعالج الكتابة؟ » فاعطيته نسخة من كتابي المسمى « حصاد اعوامي » الذي دونت فيه تاريخ حياتي وبهذا اضفت ثلاثة دولارات ونصف الدولار الى ثمن محاولاتي في الاحسان اليه، ولكن زاتري اخبرني وهو يترك غرفتي انه لم يستفد مني شيئاً بالرغم من ان حماسه قد خف.

وكانت جدتي دائماً تقول: « سر قبل ان تركض » وكانت احدى قصصها المحبوبة تدور حول رجل قعدة قال له صديق خارج المشرب: « اراهن بدولارين على انك لا تتمكن من شرب وعاء كبير من البيره » فاطرق صاحبنا ثم دخل المشرب ورجع قائلًا: « اقبل الرهان » ولما ربح سأله صديقه: « لم ترددت طويلا قبل

قبول الرهان » فاجابه : « لم اكن متأكداً من قدرتي على شرب الوعاء ولذلك دخلت المشرب وشربت وعاء من البيرة قبل ان اقبل ما عرضته علي . » وكانت جدتي تقول : « لقد كان هذا الرجل ذكياً مع انه ، بالطبع ، قلل امله في الكسب . » ولكن الحقيقة هي ان اغلبنا تقويهم التجارب ، ولا شك اننا نعتبر مجنوناً ذلك الذي يشترك في مسابقة للركض ليفوز بالبطولة دون ان يكون قد ركض مرة في حياته او عرف سرعته في الركض .

ان على الانسان ان يجتاز في اغلب المهن امتحاناً قاسياً قبل ان يجاز في عمله ، ولا يتمكن احد من ان يحصل على اجازة الاستاذية دون ان يتتلمذ قبل ذلك ، ولا يسمح لاحد ان يترافع امام المحاكم او يداوي المرضى حتى يصبح اهلا لذلك . ولا شك ان عدم وجود مثل هذه الشروط هو سبب اخفاق اكثر اصحاب الاعمال والادباء والفنانين .

وكما اخبرت زائري ، كل فرد يعتقد انه قادر على الكتابة ، ويحتوي بريدي عادة على نحو عشرين رسالة في الاسبوع من اشخاص لم يحاولوا ابداً شرب وعائهم من البيرة قبل المجازفة بالدولارين ، وقد عرفت امرأة اشتغلت طوال سنوات تقرأ « السيناريوات » لشركة للصور المتحركة وانتظرت طويلا حتى اشتهر كتابها قبل ان تتنازل عن ماهيتها في الشركة ، وهذه المرأة هي « اين رند » واما قصتها فهي «رأس النبع» وقد اخرجت « دورو تي دي » مسرحيتها المسماة « اخبريني ايتها الغادة الحسناء » وهي تشغل وظيفة في «شيكاغو» ولما لم تنجح الرواية حصلت على عمل آخر في «نيويورك» لتدفع شر الفاقة عن نفسها وهي تجرب حظها مرة أخرى .

لقد كتبت عدة مقالات افتتاحية في الصحف تعاكس القيود التي وضعت على اقراض رجال الخدمة العسكرية لمساعدتهم الرجوع الى اعمالهم المدنية وكان هناك كثير من الغم والضجر . ولست بقائل : ان قدرة الفرد على الرجوع الى عمله دون مساعدة الحكومة شاهد على صلاحه للعمل ، لاني اكره سيطرة الحكومة فقط ، فقد ورث صديق لي ، بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى كمية كبيرة من المال فاستغلها في مستودع للسيارات في جزيرة « لونج » ولما قلت له انه لا يعرف شيئاً عن السيارات . قال انه بامكانه دائماً ان يؤجر السيارات دون ان يحتاج الى اي علم خاص بها . وكانت النتيجة ان خسر ماله ! ولكنه كان عنيداً وحاذقاً فحصل على عمل صغير من الذين اشتروا مستودعه ، واشتغل بجد ولم يدع فرصة تمر للتعلم الا اغتنمها وادخر بعض المال فرجع الى ادارة العمل كشريك سنة ١٩٢٠ وهو الان ذو مال كثير وسيكون قريباً صاحب عمل كبير . ولما كنت اشتغل مع « رينولد ووالف » في تأليف المهازل الموسيقية كنا نقضي غالباً ليلة طويلة باحثين عن جملة مضحكة وكان رينولد يقول معزيا : « تشجع ، فلو كان هذا العمل بسيطاً ، اذاً لقام به كل انسان ! » . ولو كان النجاح (كالفردوس الذي يذكره هولاند في قصيدته) « يمكن الوصول اليه بقفزة واحدة . » اذاً لنجح كل واحد منا ولكانت المكافأة طفيفة تتفق وجهدنا .

وكل من يرغب في التقدم في عمله دون تمرين وجهد يجهل بلا شك كثيراً من الاشياء ولن يبلغ ما يريد . واما بشأن عملي في التأليف فان اغلب الناس يظن انه ليس الا الهاماً عرضياً يكتب في اوقات الفراغ ، والحقيقة ان التأليف بكل انواعه ينطوي على « كدح ودموع ودماء » وقد رويت كيف اني قبل ان اخرج اية رواية ، عملت سيناريوات من تصاميم اكثر من مئتين من الروايات الخالدة التي قرأتها ثم قابلت ما اخرجته مع الروايات الاصلية لاصحح اخطائي .

وكانت عمتي تعتقد انها قادرة على ان تكون مصورة كبيرة حين تشاء وكانت تقول : « وذلك لانني ارى هيئة الناس على شكل بسيط » ولا شك انها كانت تظن ، لو اني اخبرتها عن الفنانين الذين امضوا الاعوام الطوال يدرسون الالوان والتشريح قبل ان يرسموا لوحاتهم ، ان هؤلاء قد ضيعوا اوقاتهم سدى . وكان احد كتاب السير يقول عن « رمبراند » انه « وثب دفعة واحدة الى منصب المصور الاول » ولكن هذه الدفعة كانت بعد عقد من السنين قضاه في الدروس على ايدي كبار المصورين اخرج خلالها مئات من الصور التجريبية .

ليس هناك ، في الحقيقة ، عمل لا يحتاج الى مهارة ، مع انك قد تتمكن من ادارة المصعد في ظرف ساعة واحدة ، او تتعلم دفع العربة او الحاصد باقل من ذلك الوقت ، ولكن الحقيقة تبقى وهي ان بعض عمال المصاعد والحمالين هم احسن من غيرهم . ولا شك ان اجرة العامل تتناسب مع ما يحتاجه العمل من المهارة . ان الحصول على راتب ضخم يعتمد على الجدارة والاستحقاق . والفرق بين من يأخذ خمسة دولارات في اليوم ومن يأخذ خمسة دولارات في الساعة هو الفرق بين العمل الذي يتمكن اي فرد ان يقوم به وبين العمل الذي يحتاج الى ذكاء وتعلم وتدريب طويل .

ولا يصبح احد طبيباً او محامياً او حاكماً لانه يرغب ذلك فقط ، فقد كنت اظن في الماضي ان ادارة عمل من الاعمال لا يحتاج

عذاب

هجعتُ وحبي لم يهجعِ وتهتُ . وما زال قلبي بعي !
جمالـك يغرق في مقلتيّ وصوتـك يهدر في مسمعي
وعيناك ، في هالة الذكريات ، شعاع تلفّع بالادمع
عجيب كأنـك مني وفيّ فاني احسّك في اضلعي
واشعر انك في القلب خفقٌ يعربـد في خاطرٍ مسرعِ
وانك في النفس لحنٌ شجيٌ يضجُ على وترٍ طيعِ

*

هجرت التي مزّقت مهجتي ومصّت دمائي . . . ولم تشبع
وسرت وحيـداً ولكنني رأيت التي عذبتني . . . معي

رياض طه

الى اكثر من ادراك العرف العام وقد دفعت الثمن غالياً لا تعلم ان كل ما عملته في دار التمثيل لم يجعل مني ممثلاً ناجحاً اتمكن من البت في الامور لفائدتي لسبب واحد هو اني لم اكن انظف المسرح جيداً ، فاذا ما رجعت للعمل ثانية – ولا اظنني راجعاً ابداً – فسأبدأ من وظيفة صبي البريد ، ثم اتدرج صاعداً الى منصب المدير العام . ان المران هو الطريق المتعب الشاق الذي يجب ان يقطع للوصول الى الهدف ، فانا اعرف رجلا ، من انجح الموظفين واكثرهم راتباً ، اخفق في كل محاولة قام بها لينشئ عملا لنفسه لانه لم يتمكن من المحافظة على مواعيده فلم يكن سيد نفسه . وقد بقي احد المحامين الممتازين شريكاً صغيراً في بيت تجاري لانه لم يدرك قيمة حفظ عهوده ومواعيده فهو ، في المحكمة ، محام ممتاز ، ولكن العقد الذي وعد ان يكتبه لك في الشهر الماضي يبقى على مكتبه حتى السنة القادمة . ان الرجل لا يتمكن من ان يأمر الآخرين حتى يتمكن من زمام نفسه وهذا يحتاج الى مران وتعويد طويلين .

وبالطبع لا نتمكن من لوم انسان لرغبته في التحول من عمل يراه مضجراً الى آخر احسن منه بل لا شيء اجهل من الرغبة في التقدم ولكن الرغبة وحدها ، دون جهد وتضحية واعداد ، لا تنفع ابداً .

قالت « ايندافيربر » مرة انها استلمت مئات من الرسائل من شبان يرغبون ان في يكونوا كتاباً ولكن لم يكن احد منهم يرغب في ان يكتب . لقد كان هؤلاء كأولئك الذين يريدون ان يدخروا المال دون التقليل مما يشترونه ، يجب عليك ان تدفع الثمن قبل ان تصبح قادراً على انجاز اي عمل وليست اهمية هذا الثمن قليلة ، بل عليه تتوقف النتيجة وانا اوصي الذي يريد ان يتقدم حقيقة بما يلي :

١ – افحص العمل الذي تريد ان تقوم به ولا تخدع نفسك بتقليل اهمية ما يحتاجه من الجهد والقابلية . ٢ – أمعن النظر في استعدادك ولا يخدعنك الغرور فتظنه اكبر مما هو من الواقع .
٣ – اوجد صلة بين العمل وبين استعدادك .

ولا شك ان من ابسط الاحتياطات هو الحصول على بطاقة طعام تتأكد بواسطتها مما ستحصل عليه قبل انهاء خبز البارحة ، ولو اني اخبرت الدكتور الذي زارني ، اني ألفت خمس روايات نجحت ثلاث منها نجاحاً باهراً قبل ان اترك منصبي واني كتبت احدى هذه الروايات فصلاً في كل يوم احد بعد عمل الاسبوع الذي كان يبلغ تسعين ساعة ، اقول لو قلت كل هذا الزائر لما خسرت ثلاثة دولارات ونصف الدولار ثمن الكتاب الذي اهديته له ، وقد كان عليّ بدل ان اهديه كتابي ان اشير عليه بقراءة الكتب التي تبحث في سير العظماء ليجد ان ما يشغله التحضير للعمل من الصفحات هو اكثر مما يشغله العمل نفسه .

ترجمة محسن مهدي

فكرة العروبة ودعاتها

بقلم ماهر كرم

منذ فجر النهضة الحالية، ومختلف المبادىء والافكار تتنازع البلاد العربية، لا تكاد تأخذ بفكرة او تستقر على مبدأ معين، ولكن الفكرة الوحيدة التي استطاعت التغلب على كل ما سواها وسيطرت على عقول اكثرية الناطقين بالضاد واصبحت اخيراً الفكرة السائدة في كل بلد عربي، هي فكرة العروبة .

فقد قام في بلاد العرب العديد من النظريات السياسية والقومية كل منها يهدف الى غاية تختلف عن غيرها وفكرة متباينة عن سواها، فقامت بعضها على العنصرية وبعضها على الاقليمية، ولكن واحدة منها لم تقم على اساس الروابط القومية والتاريخية الا الفكرة العربية ...

ويقودنا هذا، الى استعراض حقيقة « الامة » تلك التي تضاربت الآراء فيها واختلف العلماء في تعريفها . فتعريف الامة بانها «طائفة من الناس اتحدوا تحت لواء حكومة « واحدة » تعريف خاطىء... كل الخطأ . فلولا الروابط والاواصر التي تجمع ما بين هؤلاء الاقوام ما اتحدوا وما ألفوا حكومة واحدة . وانما الامة هي ذلك التاريخ المشترك بين هؤلاء القوم، وهي ذلك التراث الفكري الذي يجمع بين طائفة من البشر فيميزهم عن بقية الشعوب وعن ذلك تنتج رسالة الامة، ولا اقصد بالرسالة هنا هدفاً معيناً تجري نحوه الامة وببلوغه تنتهي مهمتها، ولكن الرسالة بالمعنى المقصود هنا سير دائم تسيره الامة في ما تنتجه من حضارة وفكر وآداب حتى تكوّن لها طابعاً خاصاً ومميزات فارقة، وبالنتيجة الامة هي العرف المشترك الذي يجمع ما بين اجزائها ويفصلها عما عداها ومن كل هذا تتألف « ذاتية الامة » .

والذاتية تقوم في الامة مقام الحياة في الفرد، فهي تكوّنها وتسير بها في سبل الحياة اجيالاً . وقد تضعف اخيراً تلك الامة وتخمد مظاهر وجودها فيؤدي هذا الموت ذاتيتها وزوال رسالتها وتضحى امة بائدة . فاذا قامت على انقاضها، اي على نفس ارضها امة اخرى جديدة، فلا يعني هذا ان الامة الجديدة هذه هي نفس تلك الامة المنقرضة، لان لهذه ذاتيتها الخاصة ورسالتها الخاصة ولغتها الخاصة . وهذه الخصائص تجعل لها تاريخها الذي يبدأ بابتدائها وينتهي بانتهائها، ولا دخل لتاريخ الامة القديمة فيه بتاتاً .

واذا عرفنا ان وحدة التاريخ من اهم مكوّنات الامة وان وحدة التاريخ (زمانياً لا مكانياً) يلزم لها وحدة الذاتية والرسالة واللغة لم يعد باستطاعتنا تسمية الامة الجديدة نفس الامة الغابرة.

وعليه، فلو القينا نظرة على التاريخ العربي ايام الفتح لرأينا العرب وقد خرجوا من جزيرتهم، ولهم روابط قومية وتاريخية وادبية تجمع ما بينهم الى فتح بلاد لها هي الاخرى مميزاتها من قومية وتاريخ ولغة ولكن العرب وقد دخلوا تلك البلاد واتبعوها لدولتهم لم يقتصر امرهم على الفتح، بل لقد « عربوا » جميع تلك البلاد التي دخلوها فاصبح لها تاريخها العربي ورسالتها العربية وقوميتها العربية . وللايضاح نقول ان سوريا الحالية او العراق او لبنان او مصر لم تعد نفسها تلك الامم القديمة التي وجدت فيها قبل الفتح العربي . فالفينيقيين مثلاً او الاشوريين او الفراعنة خصائصهم القومية، فلهم تاريخهم، ولهم آدابهم، ولهم رسالتهم بين الامم وبالنتيجة لكل منهم تراثه الفكري الذي يكونه ويميزه، فاذا زالت كل هذه المقوّمات التي تجعل من الشعوب أمماً حية، فمن الخطأ القول ان هذه الامم لا تزال بحكم الوجود، وان بقي لها سلالات تتناسل واعقاب يتوالدون . وذلك لان الامم انما تحيا بمقوماتها هذه وبها تعرف .

*

وهنا نتساءل : اين هي يا ترى تلك المقومات التي تجعل من هذه البلاد فينيقية، وتلك فرعونية، وغيرها أشورية او بابلية . فهل لفينيقيا او لاشور او لكلدة في العصر الحاضر تراثها الفكري ورسالتها وذاتيتها وطابعها القومي حتى يصح القول انها موجودة انما الاصح ان يقال بان هذه الامم فقدت كل ما من شأنه ان يجعلها في حكم الوجود، وقامت على انقاضها امة عربية الفكر عربية الآداب عربية التاريخ، فمنذ فتحها العرب تقلصت عنها كل مقوماتها وخصائصها السابقة . فقد اصبحت ذات تاريخ عربي لان تاريخ العرب جرى مجراه على ارضها واصبحت ذات رسالة عربية، لان تراثها الفكري والادبي اصبح عربياً ولم يبق لها اية صلة من ناحية الفكر او التاريخ او القومية بماضيها غير العربي وقد يجد القارىء صعوبة في فهم ما ارمي اليه هنا، فقصدي ان اقول بان امم «الانطيكخانه» هاته قد اضحت وزالت لان ليس لها في عصرنا

الحاضر مقومات تحفظ لها وجودها ، فمدنيتهم زالت وفكرهم باد ولغتهم ماتت وكل مظاهر كيانهم في عصرهم لم يبق لها وجود في عصرنا . اما العرب فليس بوسع احد الادعاء بكونهم امة ميتة ، فما تاريخهم لا يزال يجري مجراه ورسالتهم باقيــة وفكرهم حي ولغتهم في مقدمة اللغات الحيــة ، ولو بحثنا عن شعب نرى مظاهر حيوية العرب منطبعة عليه لوجدنا انفسنا نحن سكان كافة البلاد العربية سواء أعرباً اقحاحاً كنا ام دخـلاء . فنحن وارثو العرب في تاريخهم ولغتهم ونحن مكملو رسالتهم ، وفينا تنطق حيويتهم وبنا يحيا فكرهم . ولكن لا اثر للشعوب القديمة التي ذكرناها فينا ، فاننا لا نتابع تاريخهم ولا نكمل رسالتهم ولا نتكلم لغاتهم ولا ندين بحضارتهم فكل الصلات الفكرية والتاريخية مقطوعة بيننا وبينهم . وعلى الامة التي تؤلف وحدة تاريخية مع ماضيهـا ان تكون جميع مظاهر حيويتها في ماضيهـا نفس تلك المظاهر في حاضرها ، فحاضرها الفكري يجب ان يتصل اتصـالاً مباشراً بماضيها الفكري وتاريخها الحاضر يجب ان يكون حلقة تكميلية لتاريخها الماضي ، ورسالتها الحاضرة هي نفس رسالتها في ما سبق من القرون . ولو نظرنا الى الدول العربية في عصرنا هذا لرأيناها كلها تستمد جميع مقومات كيانها من تاريخها العربي لا تنفـذ الى ما وراءه . فتراثهـا الفكري هو نفسه تراثها في العصور الاموية والعباسية ولكنه ليس هو نفسه تراثها الفكري على عهد فينيقيا او اشور ورسالتها الحـاضرة هي ذات رسالتها في ايام الراشدين والفاطميين ولكنها غير رسالتها على عهـد العبرانيين او الفراعنة وحضارتها العصرية تستمد اكسير حياتها من تلك التي كانت على ايام معاوية والرشيد ولكنها لا تستمده من الحضارة التي كانت سائدة على ايام اليونان والبيزنطيين .

والدول العربية الحديثة لم تعد هي ذاتها الامم القديـة التي وجدت على أرضها قبل فتح العرب ، لانها فقدت تلك القوة ، التي تجعل من تاريخها وحدة متصلة الحلقات ، قوة الاستمرار التاريخي . فالعراق او لبنان او فلسطين ليست امماً قائمة بذاتها لها تاريخها الموحد في مختلف أحقابه ، وانما هي اراض سكنتها اولا شعوب مختلفة من أشوريين وكلدان وفينيقيين ومردة وعبرانيين وفراعنـة ، لكل منهم تاريخه وميزاته ورسالته ، ثم فتحها العرب بعد ذلك وقضوا على قومية شعوبها وأماتوا تاريخهم ورسالتهم وادمجوا بقاياهم بالعرب واسسوا على أنقاض دولهم امة لها كل خصائصهـا العربية وميزاتها العربية ، كما هو الحال في غير أمم ، فدولة ايطاليا الحديثة مثـلا ليست نفس امة الرومان القديمة وان سكن الشعبان ارضاً واحدة ، لان لهذه قومية غير قومية الرومان وتاريخاً مستقلاً عن تاريخ هؤلاء ولغة غير لغة الرومان ، وقد يكون للرومــان بقايا من جنسهم في قلب الدولة الايطالية ، أفيجوز ان نعتبر ان امة الرومـان لا تزال حية لان دمها لا يزال يجري في عروق بعض الناس ممن فقدوا كل خصائص الرومان الاولين واصبحوا ايطاليين بعقليتهم ورسالتهم ولسانهم ؟ ومثل هذا يمكن القول عن تركيا الحديثة ، فلا يمكن ان نعتبرها بحال من الاحوال نفس دولة البيزنطيين وان قامت كل من الامتين على نفس الارض ، فلا صلة تاريخ بـين البيزنطيين والاتراك ولا وحدة رسالة ولا قومية ولا لغة . واذاً فالدول العربية الحديثة سلخت عنها كل ما يتعلق بتاريخها غير العربي واصبحت كلها تقيم دعائم وجودها على ماضيها العربي الذي منه تستمد رسالتهـا وأدبها وجوهر حياتها . وبما ان العرب هم شعب واحد لا شعوب عديدة ولهم تاريخ واحد وعرف واحد ، فلا يمكن ان يقال عن هذه الدول ان لكل منها قوميته الخاصة وتاريخه الخاص ، ولتقريب هذا القول من الاذهان أقول ان دولة شرق الاردن مثـلاً ليس لها في التاريخ عرف خاص بها ولا شعبها المميز وانما ترتكز دعائم كيانها على ماض لها عربي وتقيم نهضتها الفكرية الحديثة على تراث عربي ورسالتها في العالم هي رسالة العرب . واقول ان لبنان الحالي ليس لمة لها وحدة تاريخ في كل العصور ولها تراثها القومي الخـاص ، وتشكل شعباً مميزاً هو الشعب اللبناني بل هو ارض سكنها اولا شعب هو الشعب الفينيقي ثم سكنها شعب يدعى بالمردة ، ويسكنها اليوم شعب قطع صلته التاريخية والفكرية بالشعبين السابقين واصبح له اليوم تاريخه العربي ورسالته العربية وآدابه العربية وفكره العربي . وبالنتيجة انتهي الى القول ان البلاد العربية حالياً مربوطة ببعضها لا بالرابطة الدينية – اذ لا تأثير للدين على القومية – ولا باللغة فقط – كما يحاول بعضهم ان يدعي – وانما بكل هـذه المقومات التي ذكرت ، من وحدة التاريخ بين مختلف البلاد العربية ووحدة العرف ووحدة الرسالة اي ان الفتح العربي قد شد كل هذه البلاد الى بعضها بما كساهـا من حلة عربية وربطها كلها بحضارة واحدة وبكلمة بسيطة ألف منها امة واحدة وربطها بتاريخ واحد ومصير واحد .

هذه هي الدعائم التي تقوم عليها هذه الفكرة التي حاولت كثير من المبادىء والمـذاهب والافكار ان تقف في سبيلها ، فتبددت جميعها وسارت هي ، هي وحدها في طريق النجاح والفلاح .

جونيه — [illegible]

بين رجـــل وديـــك

بقلم رشاد المغربي دارغوث

☆

مشى يضرب الارض بعصاه ، وينادي فلا يكل له لسان ، كسائر هؤلاء الباعة المتجولين ، يجوبون شوارع المدينة ومنعطفاتها ، وهم يصرخون معددين بضائعهم ، مفندين انواعها ، منذ مطلع الفجر حتى تستوي الشمس في كبد السماء :

« — حبش . . . حبش ! »

ويضرب بعصاه الارض مرة ثانية ، ثم يهش بها على هذه الطيور السائبة ، فيتملكها الجزع ، وتستجمع كالخرفان في مجاز ضيق ، يزحم بعضها بعضاً ، وتصرخ بدورها على التوالي ، ضربة عصا بصرخة جزع :

« — قلوك . . . قلوك ! »

ويخيل للبائع ان رقاب هذه الكائنات الدقيقة كاعناق القناني الفارغة ، قد استطالت ايضاً وهي تلفظ مخاوفها نغماً رتيباً حزيناً كهديل الحمام ، ويزداد ذلك النغم كآبة كلما امعن سليم في تجواله ، في هذه الاحياء المترفة ، وكلما تضاءل عـدد القطيع الذي يرعاه ليكسب من دماء افراده اسباب حياته ويذكر الرجل ماضيه دفعة واحدة ، منذ كان في القرية طفلاً يرعى عنزة البيت في جرود الجبـل ، الى ان استقر واهله في المدينة يبيع الصحف او يمسح الاحذية الى ان بلغت به ارباح الحرب مرتبة « التاجر » وان ظل بياعاً متجولاً لا مخزن له او مكتب ، بعكس زميله نيقولا اكيتريس ، المهـاجر اليوناني الذي عرفه حمالاً حتى اوائل الحرب المنصرمة ، فـاذا به ينقلب بين عشية وضحاها من بائع اكياس فارغة الى « زعيم » تدين القرية له وللايينه . فيداخـل سليم زهو ومرح تمتلىء بهما نفسه ، وتتداعى لهما في مخيلته صور العظماء الذين بدأوا حياتهم كما بدأ ، فانتهوا الى قمة المجـد ، من هتلر الدهان في المانيا ، الى موسوليني ابن البيطري في ايطاليا .

ويحاول سليم ان يتابع استعراض هذا الماضي الزاخر بالحوادث والاحداث كسجل الامن العام في دولة عريقة ، فيقطع عليه حبل ذكرياته صوته هو نفسه يعلو بندائه الرتيب الممطوط :

« — حبش . . . حبش ! »

ثم وقع عصاه على زفت الطريق الرقشاء ، وهو يتوكأ عليهـا حيناً ، ويهش بها حيناً آخر على الطيور المسكينة التي لا تنتهي من حدادها على رفيق حتى تفجع برفيق آخر ، او يؤدب بها طائراً يحاول ان ينجو بريشه من زحمة الاقدار .

ولكن هذا الديك الذي يسبق رفاقه وكأنه قائدهم الى الموت ، علامَ يضطرم عرفه الوردي حتى يكاد يقطر الدم منه ؟ اتراه يحس دنو اجـله فيقبل على الآخرة شجاعاً حراً كيـلا يتهم بالعجز والخنوع ؟ ام تراه يسـابق الحياة فيجابه الموت مستشهداً ليحرر ابنـاء عشيرته من عبوديتهم القديمة ؟



ويرى سليم نفسه ، وقد سار في احدى التظاهرات الصاخبة ، ينادي بسقوط الاستعمار والمستعمرين ، وبحياة الديموقراطية ، والحرية والاستقلال . . . خلفه جموع لا عد لها ولا حصر ، وامامه جموع لا يدرك آخرها البصر ، تسير منشدة هازجة ، كأنها غابة من البشر تمتد الى الافق ، وترحف متراصة كالجياد في حلبة السباق . ثم يرى سليم جمعاً من جنود الاقوياء المستعمرين ، يزحفون كاصوص الاساطير وبايديهم الحراب البراقة تلمع ، فيتفرق الناس العزل جزعاً ورعباً ، وينسلون الى الدكاكين المجاورة او يختبئون في مداخل البيوت والمكاتب .

فيرفع سليم عصاه يتقي بها حربة صوبها احد الجنود الى صدره ، ثم يهوي بتلك العصا الطويلة الرشيقة بكل ما تركت الاربعون في عضلاته المفتولة من قوة الشباب ، فيحطم رأس القائد . . . وهو ينادي كعادته :

« – حبش . . . حبش ! »

لقد وقعت عصا البائع هذه المرة كما كانت تقع من قبل ، على زفت الطريق ، ولكنها وقعت كذلك كما تقع تلك يد اطلقت النار خطأ على كائن عزيز فاصابت منه مقتلاً . فقد اصابت عصا سليم ، وهو في غمرة ذكرياته البعيدة ، يوم كان من ابناء الشارع « الجدعان » وعقيداً من شباب الاحياء الشجعان ، اصابت رأس الطائر ، فراح المسكين يرقص من ألمه ، والدم يشخب من منقاره القرميدي فتتناثر روحه على تراب الدرب بقعاً صارخة كأعلام الثورة الحمراء .

وكان على البائع عندئذ ان يسارع الى اقرب جزار في المنطقة يسأله بشرفه وبحياة اولاده ، ان يتدارك الطائر المهشم الرأس ، فيذبحه ذبحة تريحه . والجزار يمتنع عن مغادرة دكانه وترك الزبائن المزدحمين على عادتهم صباح كل يوم . فيعد سليم بما يشاء من المال اجرة ما ثقل به عليه ، وهو يلعن نفسه الف مرة ، هذه النفس التي لا تتورع عن طعن الرجال بالخناجر عند اللزوم وتستنكف عن خمش طائر ، من هذه الحيوانات التي اعدها الخالق للذبح !

ويبدو لسليم انه قادر في تلك اللحظة على قتل الجندي الذي رفع في وجهه حربته منذ اكثر من عشرين سنة . بل هو قادر على ذبحه من الوريد الى الوريد ، بعد ان كان السبب في خسارته افضل طيوره وامتنها لحماً واغلاها ثمناً .

ولكنه لا يفهم كيف يحجم ، وترتعش انامله كلما امسك بسكين ليذبح طائراً ، اي طائر ، وخاصة هذه الديوك التي يرعاها منذ سنين ، ليربح بها الاموال ويقتني الدور والاطيان .

ثم يتابع سليم سيره ، بعد ان نقد الجزار اجرته . فيحمل على ذراعه من كان ، منذ لحظات معدودة ، قائد القطيع وزعيم الجماعة . . ويمشي منكس الرأس ، تدمع عيناه فيمسحها باطراف كمه ، وهو يردد نغمه الذي لا يمل ترديده :

« – حبش . . . حبش ! »

فتتراءى له من خلال هذه المقاطع الحزينة بلاد الفرس الذين جلبوا هذا الطائر في قوافلهم التجارية الى هذه البلاد من الهند ، منذ آلاف السنين . ويذكر سوى ذلك من معلوماته التاريخية . انه يذكر بلاد الروم الذين اقاموا كذلك في هذه البلاد ، برهة من الزمن طويلة ، فنسب الناس اليهم هذه الطيور ، ونسوا فضل السابقين كما يذكر امبراطورية الحبشة العريقة التي حاول موسوليني ان يقضي عليها ، والتي يضيفون اسمها الى هذه الديكة ايضاً . ثم يتساءل :

– « ترى ايها الصحيح : ما تقوله الكتب ام ما يقوله الناس ؟ » .

ويسمع الرجل صوته ، وكأنه يخرج من اعماقه ، يرتفع منادياً برقة وتفجع وحنان كقصيدة رثاء على قبر حبيب راحل :

– « حبش . . . حبش ! »

عندئذ ادرك سليم ما لم يكن يخطر له ببال او يقع عليه في كتاب ، واعتقد ما لم يعرُ خاطره في يوم من الايام : لقد ادرك منبع عاطفته الفياض ، وادرك مصدر انسانيته الخير ، فضم الطائر الذبيح الى صدره ، ومشى . . .

مشى ينادي ، ولكن بصوت غير صوته المعهود ، ويضرب الارض ، ولكن بقدمي رجل وعزم انسان !

رشاد المغربي دارغوث

خرافة النور

★

اي شيء ؟ لم تعد في القلب احلام صبايا
صفرت جبهتي الحمراء من هف النوايا
ما الذي توحي به الكأس وقد ضل هدايا
أرعشت ، ثم هوت تداق للارض بقايا
فاذا التربه سوداء ، وفي العين شظايا
والنبات الحلو تعلوه غرابيب المنايا

*

لم يعد للنور في عيني تصابٍ وائتلاقُ
قمطت نفسي ليالٍ مدلهمات طباق
انسي الوحشة ، والليل الى الليل انبثاق
انا في الليل غريب ، عن حياة لا تطاق
انا وحدي ، عالمي الظلمة ، يا اين الرفاق

*

نقمة السم على حسنك يا ارضي اخشى
تخذت مني بنات الدهر للالام عشا
احبس الآهات لكن تمن الايام رشا
قطرات غرست في الارض آثاماً وفحشا
فاذا افترّ ربيع امعنت محقاً ونهشا
احذري ، لا تشربي يا ارض ، فالتهمة تفشى

*

عجباً ، عيناي ، قال الناس نور وسراجُ
ضرب العي فلا وعي بسمعي واختلاج
يا الهي هل لما ضقت به ذرعاً علاج
أصحيح ما يقولون ؟ فلم هذا الرتاج
مغلق لا تنفذ العين ولا يجدي الحجاج
مد كفيك الى الابعاد قد آن المعاج

درعا

علي محمد شلق

اصـــــداء ...

بقلم سهيل ادريس

انظر، ايها الصديق العزيز، ان الامر بيدي اصرفه كيف اشاء، حتى تظهر لي عجبك هذا، وتسألني سؤالك ذاك، وان في نفسك من شأني لدهشة وتعجباً ؟

انك لتسائلني بكل يسر : مالي اراك تقرأ علي، منذ حين، لوناً جديداً لم اعهده منك قط، ولم تتل على مسمعي مثيله من قبل؟ لقد تعودت ان اقرأ لك الرقيق الهادئ، الذي يمازج العاطفة الساكنة وبلذها، والذي يخلف في النفس اطمئناناً وسلاماً تطيب بها ابداً . . . فما بالك اليوم تثور، فتسيل على شبا قلمك العاطفة العارمة، والاحساس المشبوب الذي قد يغيظ او يثير او يحنق ؟ لا . . لا . . . يا صاحبي! عد الي كما كنت، وكما اعهدك، فقد كنت خيراً مما انت عليه الان، وقد كان ما تكتبه من قبل ابعث على الاعجاب، واقرب الى الرضى، وادعى للتقدير . . .

ذلك كان تساؤلك ورأيك يا صديقي الكريم، تبادرني بها كلما طلعت عليك وكلما استمعت الي احدثك او اقرأ لك . . . وقد كان بودي ان انقاد الى نصحك وآخذ برأيك لولا انني كنت احرص على صدق احساسي وامانة شعوري حرصاً شديداً اخالني مخطئاً كل الخطأ ان ارتضيت ان افرط فيه او احد منه !

اجل يا صديقي ! لقد كنت — حياتي — احيط مشاعري بابلغ العناية، وكان قصاراي ان احفظ احاسيسي من ان يلحق بها شوه او يرهقها زيف، ولو انني لم اكن مقتنعاً بأن من الاحساس ما يفوق التفكير شأواً في الدلالة على قيمة الحياة، لم اتردد لحظة في ان اترك للفكر ان يقود العاطفة ويسيرها، ويطامنها في الاتجاه الذي يبغي . . . ولكن الحس والحدس في اعتقادي اقرب الى ادراك الحياة من الفكر والتفلسف !

واذن، فقد استسلمت لحسي يأخذ بمجراه، ويعيش حياته ويوحي بالذي يتمخض به الى القلم، ولم احاول يوماً ان اقف دونه، او اعقل الهامه، وكنت مؤمناً بأنه يسير في طريقه السير الطبيعي، ويسلك السبيل الذي قدر له ان يسلك، فانني الذي اعجب، ايها الصديق، ان تنكر عليه المبلغ الذي انتهى اليه، ما دام صادقاً في الحياة التي يعيش! . ان الاثر الذي يخطه الكاتب، قطعة من نفسه، يسيلها ذوب شعوره، وقطر احساسه . . . وان الاديب الحي يؤمن بفكره وحسه وايمانه بأنه يعيش، وهو اذا اريد على ان يهمل ما يمور في صدره ويعتلج في جانحه، يكفر بالحياة التي يحيا !

وان كل ما يرتعش في فؤاده من امل او علالة، وكل ما ينساب في فكره من معنى او بدوة، لن يكون الا صدى شخصية تتطور، وذاتية تستكمل عناصرها ! او ليس جريمة يرتكبها بحق نفسه اذا قبل في ان يسقط شعوراً داخل قلبه، او ان يسدل ستاراً دون فكرة خطرت له ؟ الا يسعى بذلك الى قتل جانب من شخصيته، واماتة طرف من ذاتيته ؟

انها الحياة ايها الصديق العزيز . . . تدعو الانسان الى ان يحياها باوفر حظوظ القوة والامتداد الذاتي . . . والانسان يحياها دائماً، وعلى الرغم منه في كثير من الاحـوال . . . ولكن نصيب الخير في ان يحياها اعظم دائماً من نصيب الشر !



فلا تظنن، يا صديقي، ان بوسعي ان اعمل غير ما انا مدعو الى عمله، ولا تحسبن ان بوسعي ان ادع ما انا مدعو الى عمله، فليس الامر بيدي، وانما الذي يخطه القلم صدى نفسية تتطور ابداً وتبغي ان تعيش باوفر حظوظ الامتداد الذاتي، وتؤثر ان تموت في المضمار الذي تحيا فيه! على ان تختق ما تشعر به ! . . .



وادي الفرات ومشروع سدة الهندية

الجزء الثاني

تأليف الدكتور احمد سوسه – ٣٧٥ صفحة – مطبعة المعارف بغداد

هذا الكتاب تتمة للبحث الذي بدأه الدكتور سوسه في الجزء الاول « وادي الفرات ومشروع بحيرة الحبانية » الذي عرضنا له بالدرس في عدد كانون الثاني سنة ١٩٤٥ من هذه المجلة

لم نعجب اذ رأينا المؤلف يخصص بحثاً وافيا مستقلا لسدة الهندية ذلك المشروع الذي يعتبر اهم المشروعات الحيوية التي نفذت على نهر الفرات لما له من اكبر الاثر في حيـاة العراق الزراعية والاقتصادية .

وكان من الطبيعي ان يعرض الدكتور سوسه لتاريخ ذلك النهر في اطوار حياته المتعاقبة والتحولات التي طرأت على مجراه في خلال العصور لنتبين مبلغ الاثر الفعال لبناء سدة الهندية من حيث ضبط مجرى النهر في عصرنا هذا والتحكم في مياهه لاستغلالها على خير الوجوه .

وفي الحق ان نهر الفرات يستحق كل هذه العناية فهو جبار في طغيانه عطوف في جريانه . قد فرض نفسه على الزمن وسجل تاريخاً مجيداً في سفر الخلود بما قام على ضفافه من مدنيات وما ازدهر في جنباته من حضارات .

فلا يكاد الباحث يعرض له بالدرس حتى يمر بخاطره هـذه الدول التي استقرت على طول مجراه انى اتجه والامم التي تعاقبت خلال العصور السابقة والاجيال البعيدة الى يومنا هذا . فهي في ظله في عز ومنعة وصولة وقوة : مدن عامرة وحياة زاخرة ودنيا هي جنة النعيم ما افادت من خيراته واستمدت من فيضه .

فاذا بدا له فتحول او اثرت فيه عوامل الطبيعة فانحرف عن طريقه ذبلت تلك الحضارة وذوت هذه المدنية كما تذبل الزهرة او يذوي العود حتى يدركه الفناء . فتمحي آثار تلك المدنية وتبيد الحضارة وتفنى أمم وكأنها لم تكن . ولا تكاد تطوى صفحة هنا حتى تنشر صفحة جديدة هناك لهذه الحضارة جارية وراء النهر تتبعه وتستدر عطفه وتحيـا في ظله حتى يدور الزمان دورة جديدة .

وكذلك اثبتت اعمال الحفريات ان تحت طبقات الغرين التي كونتها مياه الطوفان على تعـاقب الاجيال ، آثار اولى الحضارات البشرية .

وقد عرف الاقدمون له فضله فبذلوا في سبيل استغلاله والافادة منه ما يملكون من جهد فعملوا على اقامة المنشآت المائية التي تعود عليهم بالخير .

وقد رأينا من الملوك العظام من كان اسمه مرتبطا ببعض هذه المنشآت امثال حمورابي وسميراميس والاسكندر الذين عرفت لهم عنايتهم بمسائل الري وتنظيم شؤونه .

فشريعة حمورابي قد انتظمت في المواد من ٥٣ الى ٥٦ اوامر وقرارات تفرض المحافظة على المنشآت المائية وصيانتها ومسؤولية من يقصر في العناية بها وتعين الجزاء الذي يترتب على اهمالها .

وكانت عناية العرب بشؤون الري لا تقل عن الاقدمين فرأينا العباسيين يحرصون على تثبيت القواعد الاساسية لعلم الري والمساحة ولا ادل على ذلك من كتاب « انبساط المياه الخفية » لابي بكر محمد بن الحسين الكرخي المتوفى سنة ٤٠٧ هـ فهو يبحث في هندسة الري وعلم المساحة والتسوية .

نستطيع ان نتبين من الكتاب ان النهر قد مر بخمسة اطوار خلال خمسة آلاف سنة خلت وقد بسطها المؤلف في كتابه بشيء من التفصيل وكان لا بد من الاطلاع عليها لنقف عـلى مشاكل الفرات الحاضرة وعلى مشاريع الري فيه والى اي حد كانت الطبيعة تتحكم في تحوله اذا لم تلاق قوة اصلاحية منظمة تحول دونه .

فاذا ما فترت يد الاصلاح تغلبت عوامل الطبيعة فتلاشت منشآت وهام الوف من الناس تاركين المنطقة الزراعية التي كانت تؤويهم والتي اصبحت فجأة ارضا جرداء من جراء طغيـان النهر وتحول مجراه من جديد .

وقد كانت عبرة الماضي محذرة من خطورة الاهمـال وحافزة لضرورة الاخذ بسيـاسة عمرانية منظمة فاتخذت في زمن الدولة العثمانية تدابير واجراآت فنية لتدارك انتقال مجرى الفرات ومعالجة قضية من اخطر قضايا النهر التاريخية حيث انه كان لا يزال في دور من الانتقال لم يصل الى مرحلته الاخيرة بعد . وقد جرت عدة

لمحاولات انتهت بتكليف السير وليم ويلكوكس بناء قناطر فوق الفرات عرفت بسدة الهندية احتفل بافتتاحها في اخر سنة ١٩١٣ وبلغت نفقات الانشآت زهاء ٢٥٠٠٠٠ ليرة تركية .

ويكفي ان نذكر للقاريء ان ستة جداول تتفرع عن سدة الهندية وتستمد منها الماء لري مساحة من الاراضي تبلغ ٥٠٦٧٥ هكتار ليرى ان مكانة هذه السدة من العراق كبيرة الاهمية وانها قد حققت الاغراض المقصودة من انشائها فردت الحيـاة الى بقاع واسعة كانت المياه قد تحولت عنهـا وامنت ري مساحات اخرى جديدة ما كانت لتحيا لولا هذا المشروع .

هذه صورة موجزة لمـا عرضه الدكتور سوسه في كتابه من موضوعات تمثل لوحة رائعة أخاذة لحالة طالما استنفدت جهوداً جبارة على مر الاجيال .

ونحن نعلن اعجابنا بحسن اختيار الدكتور للابحاث التي يعالجها ويعرضها على قراء العربية فهي تتصل بصميم الحيـاة الاقتصادية والعمرانية في العراق . ان الدكتور سوسه جم النشاط خصب الانتاج فهذا الكتاب ثالث مؤلفاته عن نهر الفرات وري اراضي السواد غير ماشره من كتب اخرى قيمة لهـا صلة بتاريخ الري وتطوراته في العراق باللغتين العربية والانكليزية وبذلك يكون قد استأثر لنفسه بالمنزلة الرفيعة بين مهندسي الشرق فاصبح حجة يعتمد عليه ومرجعاً لا يستغنى عنه وهو ظفر جدير بالثناء والتقدير .

ابراهيم عبد العال
رئيس قسم الابحاث المائية في لبنان

ايها العرب اتحدوا !

للاستاذ منير الشريف — ٢١٢ صفحة — دار اليقظة بدمشق

هذا الكتاب دعوة صريحة صادقة الى الوحدة العربية . وهو يتناول عوامل هذه الوحدة ووسائلها والاخطار المحدقة بها وفوائدها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ويبدأ بالتحـدث عن العرب واصلهم وتفريعاتهم ثم ينتقل الى البلاد العربية وسكانها واقتصادياتها الخ ... ويعقد فصلاً عن الجامعة العربية ينتهي منـه الى ضرورة الاتحاد العربي الذي يقسمه الى مراحل ثلاث يكون من شأنهـا توثيق الوحدة رويداً رويداً . وينتهي بسرد الثمار التي يجنيها كل بلد دخل في نطاق الوحدة كعضو من اعضائها .

واول ما يلاحظه القاريء في هذا الكتاب ضعف الهيكل وعدم جمع فصوله برباط متين يدل على وحدة الموضوع ، فعلى الرغم من ان الكتاب جامع ومستفيض ، فان الانسجام والارتباط يعوزه الى حد كبير . ويظهر في الفصول اجمالا ، من جهة اخرى ، طابع التفكير الضعيف ، والمصطنع احيانا ...

ثم ان الكتاب يكاد يخلو من فكرة جديدة تختلف عما يعرفه كل من تتبع الحركة العربية في جميع اطوارها ، ومظاهرها الجديدة التي اضفتها عليها الجامعة العربية ، باستثناء تقسيم الاتحاد المرجو الى ثلاث مراحل ، هي في الحق نتيجة طبيعية للتطور ، اكثر مما هي اقتراح يعرض ، وهذا ما يجيز لنا القول ان المؤلف كان يعتمد على العاطفة الوطنية للدعوة الى الوحـدة اكثر من اعتماده على البحث والتحليل .

على ان صدور الكتاب في هذه الظروف التي يعمل فيها العرب لجمع شملهم ، يعد بادرة طيبة . س . ا.

شخصيات عربية

للاستاذ نقولا زياده — ١٠٢ صفحة — سلسلة الثقافة العامة — يافا

يتألف هذا الكتاب من اربعة فصول تتناول شخصيات عربية في ازمان متفاوتة هي فيلبوس : الامبراطور العربي الذي تولى ادارة روما في القرن الثالث الميـلادي ، ومعاوية امير الساسة العرب ، وأسامة فارس بن شيزر ، وفخر الدين المعني امير لبنان .

وطريقة هذه الفصول هي طريقة السرد التاريخي الذي يكشف عن نواحي العظمة في بعض شخصيات التاريخ العربي ، دون تنميق او تكلف .

دمشق القديمة

للاستاذ صلاح الدين المنجد — ٦٤ صفحة من القطع الكبير
نشر مديرية الاثار القديمة في سورية

لم تكد سورية تصرف الموظفين الفرنسيين من دوائرها الفنية والثقافية ، حتى بدا على هذه الدوائر النشاط الذي تمتـاز به امثال هذه الدوائر في الدول الاخرى .

ومن الوان هذا النشاط ، ذلك الذي ظهر على مصلحة الاثار السورية بعد ان غادرها موظفوها الفرنسيون ، وقـد كان بعضهم يمزج العلم بالسياسة ، فيمنع الجيل الجديـد من الاتصـال بماضيه اتصالاً وثيقاً قائماً على هذه الاثار التي خلفهـا ذلك الماضي لتدل عليه وعلى عزته ورفعته ، ويستثمر ما تقع عليه يداه في الحفريات الوانا شتى من الاستثمار .

تنفست مصلحة الاثار الصعداء ، مثل غيرها من مرافق الدولة ،

ورأت ان من واجبها ان تصدر نشرات عربية بسيطة تضمن للناس ثقافة تاريخية أثرية، يتبينون فيها روائع ميراثهم القومي الذي تمثله آثار ارضنا في كل ناحية من نواحيها. فاخرج مديرها – بالوكالة – الاستاذ صلاح الدين المنجد دراسة مبسطة عن « دمشق القديمة » تتناول اقساماً ثلاثة : اسوارها وابراجها وابوابها.

وخطة المؤلف في الحديث عن كل هذه الاقسام ان يعرض لموقع السور او البرج أو الباب اولا، ثم ابعاده واشكاله، ثم تاريخه وما مر عليه من احداث الى ان اصبح على الشكل الذي نراه اليوم.

وقد وفق المؤلف في صوغ التاريخ الاثري صياغة ادبية محببة الى النفس، فليس فيها جفاف ولا غموض. وتخلل الكتاب صور ورسوم كانت خير «وسائل ايضاح» للقارىء الذي لم يعان بعد الشؤون الاثرية.

والذي نرجوه، ان لا يطول بنا الامد في انتظار الدراسات الاخرى التي ستعقب هذه الدراسة عن آثار سورية في مختلف الجهات

الزاد من الادب العربي

للاساتذة انور العطار وخلدون الكناني وشكري فيصل – ٢١٦ صفحة
مكتبة عرفة بدمشق

كان من اثر اصلاح المعارف السورية الذي اضطلع بالقيام به المربي الكبير الاستاذ ساطع الحصري، هذا التجديد الذي سرى في شتى فروع المناهج التعليمية وما يتبعها من اعداد كتب حديثة واساتذة مهرة يتلاءمون مع هذا العهد الذي يمتاز بالوثوب والتجديد على دعامة من الوعي العميق والاساليب الصالحة.

والمنهاج الجديد للغة العربية – والحديث هنا عن المعارف السورية لان المعارف اللبنانية لا تدري بعد منهاجاً تقوم عليه – اقول ان المنهاج الجديد يهدف الى ان تكون الدراسة المتوسطة حلقة كاملة ينتهي منها الطالب وقد ألم باكثر ما يجب ان يلم به.

وهكذا اتجهت الدراسة المتوسطة الى الاحاطة بتاريخ الادب العربي دون ان تأخذ شكل الدراسة الادبية المحضة، وانما هي « لون من دروس المطالعة » تحتوي على تعريف بالاديب وتعيين لعصره ولمنزلته من هذا العصر وتعرّف اليه في دراسة بعض نصوصه وخلاصة لميزاته الخاصة.

واجتمع ثلاثة اكفاء سبق لهم ان تخصصوا في دراسة اللغة العربية وآدابها، ومارسوا مهنة تدريسها سنوات طوالاً .. ووضعوا كتاباً سموه « الزاد من الادب العربي » جاء اشد ما يكون وفاء بالنهج الجديد وملائمة للتطور المنشود.

ولا نغلو في كلامنا، اذا قلنا ان هذا الكتاب هو من خير كتب المطالعة المدرسية التي وضعت في اللغة العربية حتى الآن، فهذه المختارات، التي دلت على حسن ذوق وبراعة اصطفاء، تتوزع على شتى الفنون الادبية، وتسير سيراً تاريخياً منذ العصر الجاهلي حتى اليوم، وتتخذ اسلوباً واحداً : تبدأ بترجمة الاديب، ثم النص، ثم الشرح، ثم الاسئلة، واخيراً احكام مقررة عن فن الرجل وادبه.

وشرح النص يتناول النواحي النفسية مرة، والاجتماعية حيناً والتعريف بهذا النوع من الادب كيف ينبغي ان يكون .. دائماً.

فيتكون في نفس القارىء من ذلك كله تذوق للنص واساغته، تذوقاً واساغة يمكنان من تنمية الحس الادبي وتهذيبه

وفي وسع الطلاب الذي سيتاح لهم ان يقرأوا طيلة العام في هذا الكتاب ان يكوّنوا فكرة عامة موجزة عن تاريخ الادب العربي، وكيف تطورت فنونه الادبية، وما هي مميزات كل عصر وكل شاعر او كاتب او خطيب، على اهون سبيل، وعلى هامش دروس المطالعة، فاذا ما جاز هذه المرحلة من التعليم المتوسط نقل معه معرفة منظمة لا نقصان فيها ولا اضطراب.

اننا نلفت المربين العرب الى هذا الكتاب الجديد ليضعوه بين ايدي طلابهم، وندل وزارة المعارف السورية على هذا الجهد المظفر، لترعاه وتكافىء عليه وتطلب المزيد منه.

العالم القديم

للاستاذ نقولا زيادة – ٢٥٩ صفحة – منشورات المكتبة العصرية بيافا

الاستاذ المؤلف مؤرخ معروف بالتجويد، وهو الى هذا قومي نقي النقيبة واعي الفكرة، امد المكتبة العربية بين حين وحين بكتب قيمة.

وهذا الكتاب او بالاحرى هذا الجزء من «مصنفه العالم القديم»، بعض من نفائس آثاره، فقد وضع به بين ايدي الطلاب مرجعاً يتفق ومدى حاجتهم.

والاستاذ المؤلف اراده كتاباً مدرسياً مبسوطاً في مقدار الحاجة، ومبسطاً في حدود ادراك الغاية. تناول في الفصل الاول ص ١ – ٥٤ فجر المدنية البشرية التي حمل مشعلها الساميون القدماء في بابل وسورية والمصريون. فعرض تلك « المدنية الام » في ماهيتها وتفاصيلها ومختلف الوانها، عرضاً مستوعباً. وفي الفصل الثاني ص ٥٩ – ١٠٣ تناول نشوء الامبراطورية ونموها وامتدادها،



طرفة شعرية

أخي (الاديب)

قرأت بكثير من اللذة والاعجاب، القطعة الرائعة، الخاصة بالشاعر البوهيمي الكبير، مصطفى وهبي التل، في مقال (الحياة الادبية في شرقي الاردن)، المنشور في العدد الاخير من مجلتكم.

انا رجل يسكرني الشعر، وقلّ من الشعر ما يسكر، وانا منذ سكرنيّ، في قول الاخطل الصغير: (ويح صوت القبل)، وقول امين نخله:

وعلى مسقط القميص، الى الخصر، وعند انفلاته، جهد مجهد.

– ما برحت في صحو بليد، اتلمس النشوة في الشعر العربي، فلا اراها، حتى قرأت بدعة الشاعر التل:

يا شيخ! ما الاثم؟ حسب المرء معرفة ان الشفاه (بوادى السلط) لمياء

ان هذه ال (يا شيخ!) وهذه ال (حسب معرفة)، قصيدة تامة، (وسكرانان) في قوله:

...ليس يعنيني، قول الوشاة: عرار، سكرانان!

– طرفة خالدة لم نعهدها في الشعر منذ ابي نواس، تمحي فيها وتنحل، طرفة زكي مبارك في قوله: انا الدكاترة زكي مبارك.

يسرني جدا ان اقدم الى قراء العربية، هذا الشاعر البكر، وهذه الشاعرية الفاتنة، واتمنى على مجلة الاديب، ان تمضي في هذا (الاكتشاف)، وان تتصل بالشاعر التل، او بكاتب المقال، السيد الناعوري، وأن تعرض علينا نماذج من شعره، وطرفاً من حياته، فما هذه بحياة؛ بل اكثر من حياة، انها شعر وفن!

قد لا يقرني على هذا الرأي فريق، وقد (يصفني) في الغلاة، آخرون، اما انا، فادين بالقاعدة: كل انسان يطلب نفسه في ما يقرأ، وان الادب استجابة، وان الشعر فن، والفن حياة، ولهذا، اقرر بكثير من الصدق والصراحة، انني وجدتني في شعر هذا الشاعر، وفي حياته، وانني استجبت له، وانني – اخيرا – انحني راضياً امام هذه الحياة، الحية الغنية، الملونة، عليها السلام.

حمص — وصفي قرنفلي

هل العقل عربي؟

سيدي الكاهن الجليل الاب مرمرجي الدومنكي

قرأت مقالكم المنشور في الاديب الشهيرة (عدد كانون الثاني ٤٦) فوقفت عند قولكم: « والحال ان هناك من يزعم ان العقل ليس بعربي بل هو دخيل الى العربية من اللاتينية التي يدعى فيها العقل OCULUS اي OCUL مع الكاسعة الاعرابية US ومعنى الكلمة عين، وقد قلب حرفه الاول عيناً في العربية فأضحى عقلاً.

وقد احلتم القارىء على الجزء الرابع من السنة السادسة للغة العرب – مجلة العلامة الكرملي – صفحتها ال ٢٧٢.

والمفهوم من استشهادكم هذا انكم تنقلون كلام العلامة الكرملي حرفياً. والحال ان قلمكم المسجدي قد لعب بالالفاظ او تلاعب بها تلاعبا انزه عنه قدركم، وعلمكم.

لا اقول هذا لاغض من قدركم، لكني اقوله لاظهر لكم الى اي درجة اثق بكم، والى اي حد صدمني تلاعب قلمكم ذاك التلاعب الذي قد يكون مقصوداً!

لقد رجعت الى لغة العرب فوجدت فيها ما حرفه: ذكر صاحب تاج العروس سبب تسمية العقل بهذا الاسم وسر اشتقاقه او اصل اشتقاقه من مادة ع ق ل. فقال ما هذا حرفه:

« واشتقاقه من العقل وهو المنع: المنع لمنعه صاحبه مما لا يليق او من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه اليه كذا في التحرير لابن الهمام. وقال

وعطف في الفصل نفسه لتأريخ الكتابة في الشرق الادنى. وفي الفصل الثالث ص ١١٠ – ١٥٠ تناول اليونان وقبائلهم وتوسعهم، ثم حضارتهم في مرحلة من مراحل تخلقها. وفي الفصل الرابع ص ١٥٥–١٨١ تناول حروب اليونان وبالاخص الحروب الفارسية، ثم حضارتهم في مرحلة اخرى اكثر تكاملاً. وفي الفصل الخامس ص ١٩٩ – ٢٢٩ تناول العصر الهليني من الاسكندر فالامتداد اليوناني الذي طبع العالم بطابعه، ثم الحضارة اليونانية في مرحلتها الهلينية اي في قمتها.. واعقب فصول الكتاب بملاحق تناولت خلاصات ومقابلة الاعلام بين الحديث والقديم.

وان كان من شيء يؤخذ عليه، فذلك هو الاعلام الدخيلة المجتلبة التي لم يراع فيها طريقة قدماء العرب في التعريب. مثل « فسيفساء » وعروبيتها « الترميك »، راجع البدري في كتابه محاسن الشام خلال كلامه عن المسجد الاموي. و « كركميش » عرفت بالقاف لا بالكاف، وهذا مثل الانحراف الشائع اليوم في نقل اسم « كليوبطرا » عن التعريب القديم له، الذي هو « قلبطرة » بفتح الاول والثاني والثالث وسكون الرابع كما في مروج الذهب المسعودي.

والكتاب بعد ذلك وضع بين ايدي العرب ما يغنيهم عن « برستيد » و « مسبرو » وعسى ان يحل محله الجدير به في المعاهد وعند القاريء المستفيد.

عبدالله العلايلي



هؤلاء .. عهد الحرب

بقلم صلاح الاسير

بشاره عبدالله الخوري

•

وهو شاعر في الذروة ، وكاتب لاذع ، استقبل الحرب وهو يمني النفس باعادة اصدار جريدته « البرق » التي كانت في الحرب الماضية سجلًا للحوادث والايام ، وحملت ما بعد الحرب الماضيـة قسطها من رسالة الادب على هذا الشاطىء العربي . . .

ولكن . . . ما كل ما يتمنى المرء يدركه . . . ولم يدرك شاعرنا بغيته وظلت « البرق » محتجبة ، ولكننا مع ذلك ، نحن الذين قرأنا للاخطـل الصغير قصائده الـتي سجلت الحرب الماضية تسجيلًا فيه كل الالم ، اجل . . . نحن كنا ننتظر الا يغمر الكسل شاعرنا ، فتأخذ حقبة الانتظار خمسة اعوام منه ، لم يطلع خلالهـا على الناس بقصيدة . . . او بقطع . . . مع ان لبنان قد اضطرمت في اعماقه ثورة . . كان اجدر الناس بتخليدها شاعرنا الكبير . . . مرت به اعوام الحرب دون ان ينتج لنفسه وللعرب شيئاً ، واخيراً حضنته وظيفة « مستشار فني » في وزارة المعارف ، فنرجو مخلصين ان لا يكون عهده بها كعهده طوال ايام الحرب . . .

☆

خليل تقي الدين

•

لم يسلبه المنصب عمله في حقل الادب ، ولكنه حـال دون وفرة انتاجه ، تنقل بين مديرية المطبوعات ومديرية المجلس النيابي ، واشترك في حركة لبنان التحريرية ، ومع ذلك لم يخرج ما كان يؤمل اخراجه . يكتب باناقة ، وعنده معين لا ينضب للتجارب ، ولولا عدة قصص ومقالات نشرت له في « الاديب » وفي بعض مجلات مصر ، ولولا « الاعدام » مجموعة قصص من وحي الحرب ولولا احاديث اذيعت له من لبنان وفلسطين ، لكانت سنو الحرب سني قحط عنده . . . ويعزينا انه لم يقنع بما انتج ، بل هو اليوم يستعد لوثبة كبرى ، قد ينعتق قبلها من قيود الوظيفة ليتفرغ للاشتغال في حقل الفكر والحبر والورق .

وقد يكون له عذره في قلة الانتاج ، فوقته موزع مقسم بين عدة مسؤليات ، وبين عدة نواح ، وقليلًا ما تترك السياسة والادارة والبرلمانية مجالاً للعمل الادبي . . .

ونحن معه في انتظار الوثبة المنتظرة ! . .

عبدالله العلايلي

•

ثورة كامنة في هيكل بشري . . . حاولت هـذه الثورة الانطلاق من معتقلها في اوائل هذه الحرب ، فكانت سلسلة « اني اتهم » رسالة هادمة بانية ، لو قدر لها الاستمرار في الصدور لقومت

الشعرية عربية فصحى . ٥ – يجوز نظم القصائد في البحور القديمة والحديثة . ٦ – لا يسمح للموظفين في المراكز المشتركة في تنظيم المسابقة التقدم للمباراة فيها .

٧ – يجب ان تصل القصائد المقدمة الى المراكز المحلية قبل اول مارس (آذار) سنة ١٩٤٦ . ويجب ان ترسل الى العناوين المذكورة في البيانات الموضعية وان تكون طبق الشروط التي يفرضها كل مركز .

٨ – سيمنح كل مركز محلي ثلاث جوائز الاولى قدرهـا عشرة جنيهات والثانية قدرها خمسة جنيهات والثالثة قدرها ثلاثة جنيهات . وسيذاع بيان الجوائز من كل محطة محلية في اليوم الاول من ابريل (نيسان) .

٩ – ستصدر لجنة التحكيم في لندن حكمها النهائي في القصـائد العشر الفائزة محلياً . وستمنح ثلاث جوائز اخرى للقصـائد الثلاث المختارة . والجائزة الاولى قدرها خمسون جنيهاً . والثانية قدرها خمسة وعشرون جنيهاً والثالثة خمسة عشر جنيهاً . وستذاع النتيجة النهائية في البرنامج العربي من لندن في اول يوليه (تموز) سنة ١٩٤٦ . كما سيذيع القسم العربي بهيئة الاذاعة البريطـانية القصائد الفائزة بالجوائز . وتحتفظ هيئة الاذاعة البريطانية بحقها في اذاعة او نشر اية قصيدة من القصائد المقدمة لهذه المسابقة .

الكثير مما اعوج والتوى والتاث في هذا البلد العجيب . ذلك ، ان صاحب « دستور العرب » وقد هضم في اعماقه تفاعلات القضية العربية منذ فجر التاريخ ، ورافق الف مخاض ومخاض لتفرعاتها يستطيع وحده ان يدل على الطريق ، وان يحمل المشعل في وجه الظلام الزاحف ...

ويصمت عبدالله، وفي نفسه ألم ، وفي عينيه ازورار، ولكن صمته ينقطع في مطلع كل شهر، عندما يحمل الاديب فلذة من ثورته الى كل عربي مؤمن !..

ولقد اثرت هذه الحرب فيه ، وساعة تنفجر ثورته بعد هذه الهجعة اليقظة ، ستجرف الاصنام وعباد الاصنام ، وستكون صيحة جيل في وجه جيل آن له ان يحلم بالرحيل ...

ترى متى ستنفجر هذه الثورة ...

امين نخله

•

رجل سكت ... وليس في فيه ماء ... تجاذبته نوازع السياسة الاقليمية ، فحرمت الادب قلماً من ابرع الاقلام في عالمي المبنى والمعنى ، ويكتفي هو بتمثيل دور « زهير بن ابي سلمى » في حولياته ... فيرثي صديقاً له في العراق هذا العام ، وينقلب العام فينشر مقطعاً شعرياً ، هو زاده العام كله ... وهكذا دواليك .

اخرج ايام الحرب « المفكرة الريفية » وهي طرفة طال عليها الانتظار ، وقد استوت على سوقها قبل الحرب باعوام ، ومع ذلك اخرجها في الحرب، ثمرة طيبة من ثمار الخيال الرطب والرونق والليان!

وارى انه يظلم ادبه كثيراً في كسله، بينما يجد الزمن، ويكثر القطاف في الكروم، واذا استمر على كسله، فلن تكون لعناقيده بهجة في ايام القطاف، لان الناس اصبحوا يمافون «التخمير» الادبي، وهم اليوم اميل ما هم الى نضرة وعمق في بهرة النهار لا ما وراء العسس .

ترى هل يعرف هذا كله امين ؟

الدكتور نقولا فياض

•

هذا الشيخ الشاب ، الذي تجند منذ بدء الحرب للذود عن حياض قضية الديمقراطية ، واستطاع ان يملأ باحاديثه المذاعة اجواء الارض ، وكذلك استطاع ان ينفي التهمة القائلة بكسله،

ولقد سعد هو بهذا النشاط امداً قصيراً ، وشالت عنده كفة الادب على كفة الوظيفة في ميزان الحياة ... واخيراً عقه الادب، وكاد يذهب الى مصر ليحيا بقية عمره الطويل باذن الله ...

ولكن الحكومة اللبنانية — بعد ثورة الاديب واسرته — وجهت همها الى اقناع الدكتور فياض بضرورة البقاء وعينته مستشاراً فنياً واوكلت اليه مهمة اخراج دواوين الشعراء اللبنانيين في الوطن والمهاجر ، فقبل المهمة ، وعاد الى الحقل الذي احبه !..

ومن واجبنا هنا التنبيه بان الدكتور فياض استطاع في ايام الحرب ان يرتفع باسلوب السياسة الى المستوى الذي يرتضيه الادب، فكانت احاديثه ومحاضراته تعي وتحضن الطرائف والاخيلة ، على نحو بارع .

وهو بعد هذا كله شيخ يريد ان يظل شاباً ! ..

الدكتور رئيف ابي اللمع

•

اعاد قبل اندلاع نار الحرب اصدار مجلة « الفجر » وهي شهرية تعنى بالعلم والادب والاجتماع ، وكانت منبراً مستقلاً للرأي وميداناً حراً للاقلام الخاصة ، وكان الدكتور رئيف يعالج على صفحاتها هموم الوطن والجيل على ضوء المنطق والعلم .

وقبل انقضاء عام على بدء الحرب اضطرته ازمة الورق الى حجبها عن القراء ، ولكن الدكتور رئيف من الذين نذروا جهدهم وكدهم من اجل المثل العليا ، فلم ينقطع جهده ، وظل يبعث الرأي اثر الرأي والصيحة اثر الصيحة ، ويعرف له قراء الادب نضج الفكرة ورجحان البرهان .

وقد يكون غده القريب عامراً بالانتاج ، فلقد حاولنا كثيراً وحاول الادب معنا احتضان الدكتور رئيف ، لانه يمثل الاديب العالم، ونحن بحاجة الى الاقلام التي يتلاقى على شقها الادب والعلم.

عرض عليه منصب رئاسة الجمهورية قبل الاستقلال فرفض هذا العرض ، لانه لم يعترف بالانتداب ، وهو لا يقبل ان يكون رئيساً لبلاد غير مستقلة !. واليوم نتساءل ! أيذهب الى اميركا ؟.

ايقتحم الميدان السياسي ؟ ...

اسئلة سيجيب عليها الدكتور قريباً جداً ! ...

عبد الله المشنوق

•

له غرام بفولتير، ولو عاش فولتير لبادل عبدالله غراماً بغرام . .

وله صلة وثيقة باناتول فرانس . . . وببرنارد شو . . . يرى الدنيا من نافذته هو احق بالسخرية الهازلة منها بالجد العابس . . .

انطلق في هذه الحرب من مهنـة التدريس، وعكف على الكتابة في صحيفة بيروت، وفي عدد من مجلات الشرق العربي .

وهو كسائر « هؤلاء » متهم بالكسل، ولكنه اخرج رغم التهمة كتابه « التعاون الثقافي بين البلاد العربية » وهو كتاب قيم يضع امام القارىء الخطوط الكبرى للتعاون المرجو والاتحـاد المنتظر . . .

يؤثر ان يتحدث عن حياته الخاصة وحياة اولاده وبيته، فهو ينقلك الى جو البيت في ايام الحرب باسئلة يضعها قلمه اللاذع على السنة اطفاله . . . قد تكون وحدها صورة لبلاهة القوة والضعف معاً في منطق الانسان والحرب . . .

اعتقل في اوائل الحرب وظل في المعتقل اشهراً طوالا . . .

وسيخرج لنا قريباً صوراً عن حياته في المعتقل، صوراً كلها حياة !

ميخائيل نعيمه

•

ناسك الشخروب، وساكن الاعالي، والرجل الذي تغمره صوفية تجنح الى الفلسفة، وانعزالية تجنح الى الاشفاق . . .

اذاع في هذه الحرب احاديث شعرية، كانت تنقطع لتتصل، وظل يعيش في عزلته، ونشر ديوان شعر « همس الجفون » وصدر له اخيراً كتاب « البيادر »

وكنا نتمنى لو نشط في هذه الحرب الى بث آلام الانسانية، ودال برسالة الشرق، ونشر اكثر مما نشر في حقبة تنتقل فيهـا الارض من دائرة الى دائرة .

وليس بين منشوره في « همس الجفون » و « البيادر » مجهود جديد، فلقد تضمنا مقاطع منشورة واحاديث مذاعة . لذلك كان الهم الاول عندنا ان ننتظر الطرفة الفلسفية لمخاض عالم جديد من قلم نعيمة . . .

واني الساعة اسأله ان يترك برجه العاجي . . . ليعيش، معنـا قليلا . . . وعندي انـه سيكون في مقدوره اتحاف قراء العربية بغذاء روحي عميق، فيه ألم وامل، وجرح وبلسم، وسعادة وشقاء !

محمد علي الحوماني

•

شاعر الغريزة، وكاتب النقد، وجواب الآفاق القريبـة والبعيدة، كان يؤمل اعادة اصدار مجلته « العروبة » ولكنه لم يوفق . فكان حظه من هذه الناحية كحظ زميله بشاره الخوري .

ولكن ايام الحرب لم تمنعه من القيام بعدة رحلات عبر فلسطين وشرق الاردن والعراق، اخرج خلالها ديوانـه « حواء » وكتابه « وحي الرافدين » واخرج قصائد يخفق فيهـا العرق وتطفو عليها الرغبة . . .

وكنا نود لو ظفر الناس بديوانه « فلان » الذي حالت موانع دون تداوله بين القراء، لان « فلان » تاريـخ حقبة، وعرض لامراض جيل، وتصوير صادق لحالة عشناها ونعيشها، وقد يكون « فلان » خير ما اخرج الحوماني في هذه الحرب . . .

والحوماني كما قلنا رحالة جوال، وهو في معركة دائمة، وغداً تنفتح امامه البحار فينطلق من جديد . . .

الياس خليل زخريا

•

شاعر القرية الوادعة والجبل الحالم والقومية الحقة، وهو في ايام الحرب محارب من الطراز الاول، فلقد اعلنها حربـاً لا هوادة فيها على اعداء العروبة ونذر نفسه وشعره ونثره قرباناً لقضيته . .

ولولا التعليم . . . لكان لنا منه خير غامر، ولنعمت بـه قريته حالات في ساعات سوانح يغني فيها الرمال السمراء من قرية الزيتون . . . ولكن التعليم لا يترك له فرصة للانتاج، وللنظم وللكفاح . . . وهو متذمر بحالتـه، يود لو يترك لجانحيه مدى انطلاقها في الاجواء، ليغرق الدنيا العربية في ثمالات سكرى . .

وقد يكون الياس وهو الذي واجـه حربين في مطل حياته منطوياً على الم دفين سيطلع به قريباً على الناس ايمانـاً بحق وفداء لرسالة . . .

وهو في قلقه عصفور ضل سبيل المـاء الرخيص . . . ونزق بمنقره صفحة السراب، ويحس انه ارتوى . . . وايامه سجال بين وثبة ووثبة في الطريق الى الحق والخير والجمال ! . .

صلاح الاسير



١ كانون الثاني ١٩٤٦ – بدأت اليوم مقاطعة البضائع الصهيونية في جميع البلاد العربية تنفيذاً للقرار الذي اتخذته جامعة الدول العربية .

٣ – تألف وفد لبنان الى مؤتمر الامم المتحدة من السادة حميد فرنجية ورياض الصلح ويوسف سالم وكميل شمعون . ووفد سوريا برئاسة الاستاذ فارس الخوري .

ندب المرشال شان كاي شك الجنرال مارشال سفير الولايات المتحدة في الصين للتوسط في النزاع الناشب بين الصينيين الوطنيين والصينيين الشيوعيين .

٤ – حصل انفجارات ثلاثة تلاها تبادل اطلاق رصاص عنيف في تل ابيب بين الصهيونيين ورجال الشرطة .

اطلق سراح الاميرال هورتي الوصي السابق على عرش المجر .

٥ – اغتيل امين عثمان باشا وزير المالية المصرية السابق . وقد ألقي القبض على القاتل .

٦ – رد رئيس وزراء تركيا على مطالب روسيا الخاصة بالاراضي التركية ، فقال ان تلك المناطق قررت مصيرها خلال الحرب العالمية الاولى عن طريق الاستفتاء العام .

٧ – اعلن المستر برنز تأليف لجنة من خمسة اعضاء يعهد اليها بدرس المسائل المعروضة بشأن الاشراف على الطاقة الذرية على اللجنة الخاصة بها في هيئة الامم المتحدة .

وقع وزير خارجية فرنسا والسفير البريطاني في باريس الاتفاق الفرنسي البريطاني الخاص باعادة طنجه الى حالتها الدولية التي كانت عليها قبل الحرب .

بدأت لجنة التحقيق بشأن فلسطين ابحاثها اليوم في واشنطون .

٨ – كذبت وزارة الخارجية الاميركية ما اذاعته وكالة تاس من ان اميركا وعدت حكومة اذربيجان الجديدة بمعونتها .

١٠ – وصل جلالة الملك عبد العزيز آل السعود الى ميناء السويس واستقبل استقبالاً منقطع النظير . وهذه اول مرة يزور فيها العاهل العربي بلاداً غير مملكته بصورة رسمية وستستغرق اقامته في مصر اسبوعين .

١١ – افتتحت اعمال مجلس مؤسسة الامم المتحدة في لندن اليوم بحضور ٥٢ دولة .

١٢ – توفيت في مصر السيدة صفية زغلول « ام المصريين » وشريكة سعد زعيم مصر .

هاجم حوالي سبعين يهودياً مسلحاً قطاراً في فلسطين وقلبوه عن الخط بتفجير الغام تحت القاطرة مما ادى الى تدهورها مع العربات .

انتخبت الدول التالية اعضاء غير دائمين في مجلس الامن للامم المتحدة : البرازيل ومصر وهولندا والمكسيك وبولونيا واستراليا .

اما الاعضاء الدائمون فهم روسيا واميركا وبريطانيا وفرنسا والصين .

١٤ – انتخب لبنان في المجلس الاقتصادي الاعلى لمنظمة الامم المتحدة ، والعراق لمجلس الوصاية الدولي .

١٥ – انهت اللجنة البريطانية الاميركية للتحقيق في قضية فلسطين اعمالها في واشنطن .

١٦ – القى دولة النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية بياناً مشتركا باسم جلالة الملك فاروق وجلالة الملك عبد العزيز آل سعود يعلنان فيه تضامنهما في سبيل دعم الجامعة العربية ، وفي نصرة فلسطين ، ومشاركتها اياهم بان فلسطين بلاد عربية وان من حق العرب والعدل ان تبقى عربية .

١٧ – اعلن المستر بيفن في اجتماع منظمة الامم المتحدة ان بريطانيا قد عزمت ان تبدأ في الحال المفاوضات لوضع تانجانيقا والكمرون وتوجولاند تحت الوصاية الدولية . وان تتخذ قريباً الاجراءات لاعلان هذه المنطقة دولة مستقلة ذات سيادة .

١٩ – حاول بعض الصهيونيين في فلسطين نسف دار الاذاعة والسجن المركزي في القدس ووقعت معركة بين اليهود المسلحين وقوات الامن استمرت ثلاث ساعات وتوالت فيها الانفجارات .

٢٠ – القي القبض على الفريق عزيز علي المصري باشا مفتش الجيش المصري السابق لعلاقته بمقتل امين عثمان باشا .

٢١ – رفع الجنرال ديغول استقالته من رئاسة الحكومة الفرنسية الائتلافية التي الفها منذ شهرين مضيا .

وقد غادر ديغول باريس والغى الخطاب الذي كان ينوي القاءه .

استقال ابراهيم حكيمي من رئاسة الوزارة الايرانية ، بعد فشل محاولاته للاتصال بالحكومة .

٢٢ – غادر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مصر عائدا الى الحجاز

طلبت روسيا واوكرانيا من مؤتمر الامم المتحدة ان تبحث قضيتا اليونان واندونسيا في مجلس الامن .

٢٣ – انتخب المجلس التأسيسي المسيو جوان رئيساً للحكومة الفرنسية الجديدة الموقتة . وقد نال جوان ٤٩٧ صوتاً وميخائيل كابانصو ٣٥ صوتاً ، وصوت ثلاثة نواب للجنرال ديغول .

٢٤ – تخلى الجنرال كاترو سفير فرنسا في موسكو عن منصبه .

٢٥ – وافق المجلس العام للامم المتحدة على تأليف لجنة للطاقة الذرية .